الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

السنة الثالثة والثلاثون
ربيع الأول ١٤٤٠ هـ - ت٢/ نوفمبر ٢٠١٨م

العدد
٣٨٦

كلمة الوعي

حروب الغرب في بلاد المسلمين هي صراع حضارات، النصر فيها للإسلام، والهزيمة لحضارة الغرب الفاشلة

في ذكرى مولد الرسول ﷺ، على المسلمين أن يتعلموا كيف يقيمون الإسلام كله في حياتهم ص ٣٢

كيف تحبط دولة الخلافة محاولات إجهاضها حين نَشوئها؟ ص ٨

مكر أو انهيار في تركيا ص ٢٠

أهل الذمة،: رعايا، كسائر المسلمين، وليسوا أقلية ص ٣٠

الوعي
جامعية - فكرية - ثقافية
مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥
www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

المحتويات

• كلمة الوعي: حروب الغرب في بلاد المسلمين هي صراع حضارات، النصر فيها للإسلام، والهزيمة لحضارة الغرب الفاشلة ٣
كيف تحبط دولة الخلافةِ
محاولات إجهاضها حين نشوئها؟ (١) ٨
• العوامل الجغرافية لقوة الدولة وضعفها
دراسة بدائية ومختصرة (١) ١٤
• مكر أو انهيار في تركيا ٢٠
• الأصول غير المعتبرة شرعًا (١) ٢٤
• أهل الذمة: رعايا كسائر المسلمين، وليسوا أقلية ٣٠
• في ذكرى مولد الرسول ﷺ، على المسلمين أن يتعلموا كيف يقيمون الإسلام كله في حياتهم ٣٢
• هل حقًّا (كما تكونون يولَّى عليكم)؟ ٣٦
• أخبار المسلمين في العالم ٤٠
• مع القرآن الكريم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ٤٣
• رياض الجنة: السعي في قضاء حوائج الناس ٤٦
• فبهداهم اقتده: مجزأة بن ثور السدوسي الفارس الباسل ٤٨
• كلمة أخيرة:
نيوزويك: الشرق الأوسط سيشهد زلزالًا أضخم من الربيع العربي ٥١

العدد ٣٨٦
السنة الثالثة والثلاثون
ربيع الأول ١٤٤٠ هـ
ت٢/نوفمبر ٢٠١٨م

ثمن النسخة

لبنان	١٠٠٠ ل.ل.
اليمن	٣٠ ريال
تركيا	١$ أميركي
باكستان	١$ أميركي
أستراليا	٢,٥$
أميركا	٢,٥$
كندا	٢,٥$
ألمانيا	٢,٥ يورو
السويد	١٥ كرون
بلجيكا	١ يورو
بريطانيا	١ يورو
سويسرا	٢ فرنك
النمسا	١ يورو
الدانمرك	١٥ كرون

حروب الغرب في بلاد المسلمين هي صراع حضارات، النصر فيها للإسلام، والهزيمة لحضارة الغرب الفاشلة

أدرك الغربُ أن الأمةَ الإسلامية تعيش حالةً من الصحوة وإرادة العودة إلى تحكيم دينها منذ سنوات طويلة مثلما أدركها حزبُ التحرير الذي جعل استئناف الحياة الإسلامية بإقامة الخلافة الراشدة قضيته الأولى. وإدراك الغرب لهذا جعله يضع الخطط المبكرة لمنع هذه العودة ولحرف بوصلة العاملين على التغيير. فأميركا مثلًا أوجدت تغييرًا في إيران على أساس الإسلام ضد الشاه لأنها كانت تعلم أن الإسلام هو القوةُ الوحيدة القادرة على خلع الشاه يومذاك. وأميركا استغلت حيويةَ الجهاد في نفوس المسلمين في أفغانستان لضرب الاتحاد السوفياتي. وعندما سمح الغرب الأوروبي للانتخابات في الجزائر أن تكون حرةً لأول مرة في المنطقة اكتسحت جبهةُ الإنقاذ الإسلامية النتائج، فألغت نتائجَها وزجت بزعمائها في السجونِ بدلَ أن يعتلوا كراسي الحكم. ولما قامت حربُ الصربِ والكرواتِ على مسلمي البوسنة والهرسك قامت على اعتبار أن المسلمين هناك ظهرت عليهم علائمُ الصحوة والعودة إلى دينهم، وكانت التهمةُ أنهم بدؤوا يمتنعون عن أكل لحم الخنزير وشرب الخمر... والملاحظ أنه كان عند حدوث أية حالة من هذه الحالات كان المسلمون، كلُّ المسلمين، وفي كل بلادهم، يتعاطفون معها أيَّما تعاطف؛ فتقوم مظاهراتُ التأييد، وتقدَّمُ أموالُ التبرع، ويذهبُ المتطوعون لنجدة إخوانهم هناك... وصارت آمالُ عودة الإسلام إلى معترك الحياة تكبر وتزداد مع كل حالة من هذه الحالات.

عندها وجدتْ أميركا، ومعها الغربُ الأوروبي، أن الأمرَ صار يكبرُ عليها ويصعُب، وصارت تخافُ من خروجه عن الطوق. فحالةُ الجهاد التي استغلتها في أفغانستان لمصلحتها انتشرَ مع وجودها حبُّ الجهاد في كل بلاد المسلمين، ورأت أن القاعدة التي سكتت عن وجودها ابتداءً، بل وأمرتْ الدولَ العميلةَ لها كالسعودية بدعمِها، شبَّت عليها، فما أن طُرد الاتحادُ السوفياتيُّ من أفغانستان حتى توجهتْ لمحاربتِها، وقامتْ بسلسلةٍ من التفجيرات لسفاراتِها، ومن ثَمَّ كانت تفجيرات ٩/١١... من هنا جعلت أميركا، بعد سقوطِ الاتحادِ السوفياتي وانهيارِ حضارتِه الشيوعية، الإسلامِ هو عدوَّها الحضاريَّ الجديد، وظهرتْ عليها بوادرُ تقسيمِ بلادِ المسلمين من جديد، وجعلِها تقومُ على حدودٍ طائفيةٍ دمويةٍ، لتتحكمَ بها، ولتمنعَ من توحُّد المسلمين على دولة إسلامية واحدة.

ثم كانت حربُ احتلال أميركا لأفغانستان بعد تفجيرات ٩/١١، وحربُ احتلالِها للعراق بعد استدراجِها لصدام حسين للدخول إلى الكويت. ويمكن القولُ إن أميركا أتت إلى المنطقة بنفسها لتستعمرَها خالصةً لها من دون المنافسين، ولتشرفَ مباشرة على تقسيمِها، ولتمنعَ عودةِ الإسلام

إلى الحكم؛ ولكنها فوجئتْ بمقاومةٍ إسلاميةٍ شرسةٍ لها في هذين البلدين، وتكبدتْ خسائرَ بشريةً وماليةً فوق طاقتِها، وأثَّر ذلك على إفشال خطة أميركا بانفرادها في حكمِ العالم، فيما عُرف بمشروع القرن، وأكثر من ذلك تهدَّدَ النظامُ الرأسماليُّ برمته، وكاد يعصفُ به بعد وقوع الأزمة المالية سنة ٢٠٠٨م؛ فأدركتْ أميركا ومعها دولُ الغربِ الأوروبيِّ أن الإسلامَ أقوى من أن يُنال منه؛ وهذا ما عزَّز خوفَ الغربِ وهلعَه من قيام دولة الخلافة، فكثرتِ التصريحاتُ ذاتُ الدلالةِ الفائقةِ الأهميةِ تتوالى من مختلفِ زعماءِ العالمِ الغربيِّ، ومن مفكريهم وباحثيهم وإعلامييهم، تُحذِّر أيَّما تحذيرٍ من عودةِ الخلافة، وهذا معروفٌ ومسطَّرٌ وتناولَته وسائل الإعلام الدولية والإقليمية كثيرًا. ومن لطفِ اللهِ الذي يُذكر في هذا المجال أنه إبَّان الأزمةِ الماليةِ التي عصفتْ في أميركا، تناولتْ بعضُ وسائلِ الإعلامِ الغربيةِ المرموقةِ عندَهم أن الغرب الرأسمالي أوجد المشكلة، ولكنه لا يملك الحل لها من داخل النظام الرأسمالي نفسه، وفي الوقت نفسه، ذكروا أن النظامَ الماليَّ الإسلاميَّ يحلُّ هذه المشكلة، ويمنع الوقوعَ فيها أصلًا، وذكرتْ أنه يجبُ أسلمةُ وول ستريت (السوق المالي المشهور). وهذا يعزز قوةَ الإسلامِ وقدرتَه على قيادة العالم. إذًا، فإنَّ الزاويةَ التي تنطلق منها أميركا في حروبها مع المسلمين في بلادهم هي القضاءُ على فكرةِ إقامة الخلافة، ومنعُ الإسلام من أن يكون منافسًا مستقبليًا لها.

وعندما جاء أوباما إلى الحكم، أعلن بشكلٍ رسميٍّ عن تراجعِ أميركا عن سياسة التفرُّدِ في حكم العالم القائمةِ على الاحتلالات المباشرة واستعمال القوة القاسية... وعودتِها إلى اتِّباعِ سياسة الاحتواء القائمةِ على جهودِ المخابرات في زرع العملاء، وشراءِ الذِّمم، وبثِّ الفتن، وإثارةِ الاضطرابات، وتدبير الانقلابات. بمعنى آخر غيرت أميركا أسلوب حربها للإسلام ولم تعدل عنها.

وفي عهد أوباما هذا، وعندما قامت في بلاد المسلمين ثوراتٌ تطالبُ بإسقاط الأنظمة، نظرتْ أميركا، ومعها دولُ أوروبا، إليها من هذه الزاوية، زاويةِ أن الأمةَ تريدُ إسقاطَ صنائعِها من الأنظمةِ وإقامةَ الخلافة. وتعاملوا معها على هذا الأساس، تحت شعار (الحرب على الإرهاب) الذي كان معمولًا به من قبل في عهد بوش. وقد برزَ أكثرَ ما برزَ هذا الصراعُ الحضاريُّ في سوريا؛ حيث وُجد توجهٌ واضحٌ لدى المسلمين هناك لإقامة دولة إسلامية، والخلافةِ تحديدًا، وهذا هو الذي يتحسَّبُ منه الغربُ كلَّ التحسب؛ لذلك التقتْ دولُ العالم جميعُها بقيادة أميركا، على ضرب هذا التوجهِ من غير رحمة، وبشكل إجراميٍّ حيوانيٍّ خلا من كل قيمة إنسانيةٍ أو خلقيةٍ، ومن كل منطق، فأيُّ منطقٍ هذا الذي يحكُمُ الغربَ عندما يؤيِّدُ بشار أسد قاتلَ شعبه، ويعملُ على عدم إسقاطه وبقائه في الحكم؟! ماذا يعني إلا مزيدًا في سقوط حضارته؟! وفي المقابل، هل استطاع الغربُ فيما يرتكبُه من إجرامٍ بحق المسلمين ودينهم، أن يجعلَهم يستسلمون له؟! إنه لم يستطعْه من قبل، ولن يستطيعَه بعدُ، بإذن الله. فالأمةُ حيةٌ، ودينُها حي، والضربات تُقويها ولا تثنيها، وممارساتُه المفلسةُ تزيدُها إصرارًا على التغيير، وتزيده سقوطًا.

صحيح أن الغربَ في ميزانِ الحروبِ العسكريةِ يكسب، أما في مجال الصراع الحضاري فإن

الإسلامَ هو الذي يتقدمُ والغربُ يزيدُ سقوطًا وإفلاسًا. ويخطئُ من يظنُّ أن الغربَ قد انتصر، هو فقط يؤخرُ ظهورَ الإسلام، ولن تتوقفَ حروبُه العسكريةُ ضد المسلمين حتى تُحسَمَ الحربُ الحضاريةُ لمصلحة هذا الدين العظيم. ومن هنا فإن الغربَ عندما يهاجمُ المسلمين والإسلامَ إنما يهاجِمهم وهو في موقف الضعفِ والخوفِ من سقوط حضارته، وليس كما يحاولُ أن يزيفَ الحقائقَ ويصورَ نفسَه أنه المنتصر، والخطرُ، كلُّ الخطر، أن يصدقَّه المسلمون. إذًا فالحرب مفتوحةٌ بينه وبين المسلمين في مشروعِهم الإسلامي، وهو إقامة الخلافة.

وهنا لا بد من لفتِ النظرِ إلى أن ما يقومُ به الغربُ من عملٍ دؤوبٍ وجادٍّ ومجرمٍ لمنع قيامِ الخلافةِ إنما المعنيُّ الأولُّ منه هو العاملون لإقامة الخلافة، وحزب التحرير تحديدًا باعتبارِ أنه الوحيدُ القائمُ على هذا الهدف. وفي المقابلِ، فإن على الحزبِ قيادة مواجهته، وجعل الأمة تنقاد له في هذه المواجهة، فمشروعُ إقامة الخلافة هو مشروعٌ حصريٌّ للحزب.

وكذلك لا بد من لفت النظر إلى أن تقيُّدَ الحزبِ بالطريقة الشرعية للتغيير وعدمَ الحيد عنها، وبالطريقة الشرعية الوحيدة للاجتهاد، واعتبارُه ذلك من لزومياتِ حسنِ العبادةِ واستحقاقِ النصر، فلا نصرَ من الله إلا بهما. وهذان الأمرانِ مفقودانِ تمامًا لدى عامةِ علماءِ المسلمين أو الحركاتِ الإسلامية التي يسميها الغربُ (معتدلة) ويمدحُها لأنها على طريقته في فهم الدين، فهي ذرائعيةٌ وتستمدُّ أحكامَها من الواقع، وتتأثرُ بالطروحات غير الإسلامية، وتقبلُ أنصافَ الحلول وأرباعَها وأثمانَها وحتى أقلَّ من ذلك، وهي مستعدةٌ للانخراط في أي مشروعٍ غربيٍّ يُعرَضُ عليها. فعلى سبيل المثال عندما دعا الغربُ الحركاتِ الإسلاميةَ العاملةَ للتخلي عن العمل في الإسلام السياسي، ليمكنَها الانخراطَ في العمل السياسي في بلدها، وليمكنَ التعاملَ معها على نطاقٍ دولي، أسرعتِ النهضةُ التونسيةُ إلى إعلان تخليها عن العمل بالإسلام السياسي. ثم إن الإخوان المسلمين يعتبرون في طليعة الحركات الإسلامية الذرائعية التي تتعامل مع الواقع على حساب الشرع، وقد ظهر ذلك جليًا في الفترة القصيرة التي تسلموا الحكم فيها في مصر. وأما السلفيون فإنهم قادمون على مرحلة سيكونون فيها كالخاتم في يد ابن سلمان، والإفتاء لمصلحة مشروعه في التحالف مع كيان يهود ضد إيران.، وفي إصدار الفتاوى المعلَّبة.

إن أميركا تعلمُ أن انتصارَها العسكريَّ لن يَحسمَ الحربَ الحضاريةَ لمصلحتها؛ لذلك وضعتْ خطةً خبيثةً ماكرةً متكاملة، تقومُ على إسقاط مشروعِ إقامة الخلافة عند أهلِها وفي بلادِهم: فهي خططتْ لوجود تنظيم الدولة، وقيامِه بأبشعِ الممارساتِ لتعطيَ أبشعَ صورةٍ عن الخلافة التي هي أملُ المسلمين؛ لتجعلَهم يتخلَّون عن أن تكونَ مشروعَهم، وبالتالي يرفضونها ويرفضون العاملين لها. وقدمتِ الأنموذجَ التركيَّ الأردوغانيَّ على أنه الأنموذجُ الأمثلُ للمجتمع الإسلامي الحديث، والبديلُ الإسلاميُّ الحديثُ عن الخلافة. وأميركا تفكر بأبعد من هذا، فقد تمَّ نشرُ وثيقةٍ أميركيةٍ لإصلاح الإسلام؛ إذ هي تعتبر أن مشكلتها ليست مع فئة من المسلمين تسميهم أرهابيين، بل إن مشكلتها

هي مع نصوص الإسلام نفسه. وفي نفس السياق، طالبتْ شخصياتٌ علمانيةٌ فرنسية ومعهم بعض العلمانيين من المسلمين الفرنسيين بتجميدِ آياتٍ من القرآن الكريم. هذا ولا يخفى وجودُ فوضى فكريةٍ وهجومٌ متعددٌ على الإسلام بصورٍ مختلفةٍ على صفحاتِ التواصلِ الاجتماعي، القصدُ منها إيجادُ اضطرابٍ فكريٍّ يضيعُ الحقُّ فيه في خِضَمِّ الباطل – وهناك الدعوةُ إلى حصرِ الفتوى بالهيئات الدينية التي ينشئُها الحكامُ لإيجاد الفتاوى التي على مقاسهم، من مثل هيئة كبار العلماء في السعودية، والإفتاء في مختلف بلاد المسلمين.

ومع كل ما فعلتْه أميركا وتفعلُه من قهر للثورات، فإن هناك كتاباتٍ عندهم تَظهر بين حين وآخر، تتخوفُ من تجددِ الثورات. فالسعودية مع مجيء سلمان إلى الحكم، وتعيين ابنِه وليًا للعهد، وما شكله من انقلابٍ داخليٍ على قانون العائلة في التوريث، وانقلابِ الدولةِ على المفاهيم الدينية الوهابية، إلى جانب استعدادِ السعوديةِ للصلحِ والتحالفِ مع (إسرائيل) مع تغييرِ طبيعةِ الصراعِ من صراعٍ عربيٍّ-(إسرائيليٍّ) إلى صراعٍ عربيٍّ إيرانيٍّ، إلى جانب دخول السعوديةِ في حربٍ في اليمنِ وتكاليفِها الباهظة، إلى جانب الاعتقالاتِ والاغتيالاتِ التي طالتْ رموزًا دينيةً وإعلاميةً وسياسيةً، وطالت حتى أمراءَ من العائلةِ، إلى جانبِ القراراتِ السياسيةِ غيرِ الحكيمةِ والاعتقالاتِ والاغتيالاتِ التي كان آخرُها جمال خاشقجي... هذا وغيره، يمكن القولُ إنه أدخل السعوديةَ ضمنَ الدولِ المعرَّضةِ لقيامِ ثورةٍ وانتفاضةٍ فيها. وما يمكن أن يحدثَ في السعودية سيمتدُّ إلى دويلات الخليج. وهناك دراسةٌ (إسرائيليةٌ) في هذا الموضوع بعنوان: «هل ثمةَ ربيعٌ عربيٌّ جديدٌ على الأبواب في الخليج الفارسي؟» وذكرتِ الدراسةُ أن السلطاتِ السعوديةَ أقدمتْ على خطواتٍ من شأنها إثارةُ الجمهورِ السعوديِّ ضد نظام الحكم، ويمكنُ أن تسمحَ بانفجارِ مظاهراتِ غضب، تمامًا كما حدثَ في تونس ومصر واليمن وليبيا وسوريا، أواخر ٢٠١٠م، ومطلعَ ٢٠١١م، واستنتجتِ الدراسةُ أن نظامَ الحكمِ الحاليَّ في السعودية بشكلٍ خاصٍّ، يواجهُ خطرَ السقوط، وحثَّت الدراسةُ واشنطن على التحرك للحفاظ على الاستقرار في المنطقة، قبل أن تقعَ تحتَ طائلةِ «ربيعٍ عربيٍّ جديد». وكذلك ثمة عناوين يقع عليها المتابع تتحدث في هذا المجال من مثل «إرهاب ما بعد داعش، كيف سيكون شكل الوحش القادم».

وظهر لدى الغرب توجه حاسم لمحاربة الحركات الإسلامية العاملة في الإسلام السياسي، وطلب حل نفسها تحت طائلة التهديد بالقضاء عليها، وعدم السماح لأحد بمجرد العمل بالإسلام السياسي، تحت شعار جديد سيأخذ، مستقبلًا، حيزًا واسعًا من الهجوم عليه والتشنيع به وهو شعار (محاربة الإسلاموية) و(الإسلامويين) والإسلاموية تعني عندهم النظرة للإسلام على أنه دين منه الدولة، وأن فيه نظام حكم، الإسلامويون هم العاملون لإقامة الخلافة كمشروع سياسي يقوم على مبدأ الإسلام.

إذًا علينا أن نعدَّ أنفسَنا لأن نكونَ في صدارة المواجهة مع الغرب. وأولُّ هذه المواجهةِ تكمُنُ في فهم الواقع جيدًا على أساسِ فهم حقيقةِ الصراع، ونحنُ نكادُ نكونُ الوحيدينَ في مَيدان المواجهة

الفكرية. وعلينا أن نعطيَ للأمة جرعاتٍ من الثقةِ بالقدرة على التغيير، وأن لها لقاءً قريبًا مع الخلافة إن شاء الله.

أو لم يكفِ الشبابُ آيةً على نجاحِهم أن يكونَ مشروعُهم السياسيُّ هو محورَ الصراعِ الدولي اليوم، فعسى أن يكونَ هذا من دلائل رضى الله عن دعوتهم، وعن حزبهم. يكفينا فخرًا أن تكونَ تلك أمانينا، أليست هذه من معالي الأمور التي يحبها اللهُ في عباده. وهي إتمامُ الدينِ بظهوره على الدين كله.

إن الدولَ الكافرةَ المتجبرةَ تستحقُّ عند الله الهلاك إذا ظهرت فيه علائمُ ثلاث: الظلمُ، وبلوغُ الدعوة بشكل مبين، والإصرارُ على الكفر مع الإياسُ من إيمانهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٣ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٤﴾ وهذه قد ظهرت في أعداءِ الإسلام في أيامنا هذه. وها هم بنو إسرائيل قد أورثَهم اللهُ الأرضَ وملكَ فرعونَ عندما كانوا مع سيدِنا موسى عليه السلام، وكانوا مستضعَفين، ولم يكن عندهم أدنى قوةٍ في مواجهةِ فرعون. ولكن لأنهم كانوا على الحق، ولأنهم صبروا؛ دمَّرَ اللهُ فرعونَ وقومَه وما كانوا يصنعون. قال تعالى: ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ١٣٧﴾. وهذا هو القرآن ينطق بالحق للمسلمين في كل مكان وزمان، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٢٦﴾. فحامل الدعوة الحق لا يهمه إلا أمر واحد فقط، وهو أن يكون على الحق، لا يخاف إلا الله وحده. ولا يخضع لضغوط مهما بلغت، ولا لأفواه مهما لغت، ولا لأيادي الإجرام مهما ولغت. فما النصر إلا من عند الله، ولا يستحقه إلا من كان مع الله، وعلى طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم. هذا هو الفهم الصحيح للإسلام، والذي تفتقده الحركات الإسلامية التي تتخلى بسهولة عن ثوابت دينها؛ لتصبح في ميزان الشرع فاقدة الوزن والمصداقية.

اللهم اجعلنا من حزبَك الذين ترضى عنا وعنه، اللهم خذْ بيدنا إلى الحق، اللهم خذْ بيدنا إلى النصر، اللهم اجعلْنا أهلًا للتقوى يا أهل التقوى، اللهم اجعلْنا أهلًا للمغفرة يا أهل المغفرة، اللهم اجعلنا أهلًا للاستخلافِ والتمكينِ ونشرِ هذا الدينِ برحمتك يا أرحمَ الراحمين، ويا خيرَ الغافرين. ويا خير الناصرين، اللهم اجعلنا تلك الفئةَ القليلةَ التي تستحقُّ نصرَك، اللهم عجلْ لنا بالفرج وإظهار هذا الدين.

اللهم آمين..■

كيف تحبط دولة الخلافةِ محاولات إجهاضها حين نشوئها؟ (١)

ثائر سلامة (أبو مالك)

في أوائل الخمسينات، لم يكن عامة المسلمين يصدقون أن بإمكانهم العودة إلى الخلافة أو إعادة إقامتها، ولم يكونوا يفهمون من عبارة (العودة إلى الإسلام) إلا العودة إلى العبادات والأخلاق.

كان طغيان الأفكار الاشتراكية والقومية والوطنية عارمًا، وكان يُشاع آن الإسلام رجعية، وما لبثت تلك الأفكار أن اندحرت وتخلص العالم الإسلامي من أوحالها.

وبفضل الله وتوفيقه، ثم بفضل العاملين بوضوح وتصميم، وُجدت في الأمة فكرة إقامة الدولة الإسلامية، ثم بشكل محدد أكثر (دولة الخلافة على منهاج النبوة). وتقلبت الظروف وتحولت فكرة إعادة الخلافة إلى قناعة فأمل فعمل فحركة جارفة. وحين رفعت الجزائر شعار الدولة الإسلامية في انتخابات سنة ١٩٩١م، التفّ الشعب الجزائري (الذي كانت فرنسا ظنت أنها حولته إلى ثقافتها حين حكمته ١٣٠ سنة) عن بكرة أبيه حول هذا الشعار، ومن ذلك موقف الأمة الإسلامية كلها من الثورة التي رفعت شعار التغيير على أساس الإسلام في إيران سنة ١٩٧٩م، وموقفها من الاستفتاء الذي أجري على الدستور في مصر سنة ١٩٨٠م، وموقفها من الانتخابات النيابية في كل من الأردن سنة ١٩٨٩م والجزائر سنة ١٩٩٠م، وهكذا في كل مرة، وما يكون للمسلمين أن ينتخبوا ويختاروا ما بين «إسلامي» وغيره، في نقابات أو جمعيات أو مؤسسات، أو غيرها إلا فاز «الإسلامي» بدون أدنى عناء، واشرأبت الأعناق نحو صحوة إسلامية، وصارت فرائص الكفار في الغرب ترتعد فَرَقًا من عودة الإسلام إلى حلبة الصراع الدولي، وصاروا يحاربون دُعاةَ الإسلام بأنهم (متطرفون) و(إرهابيون) و(أصوليون).

وبلغ من شدة خوف الأنظمة من فكرة الخلافة، ودعوة الخلافة، وحزب التحرير أن أضحى «جرم» توزيع نشرة من نشرات حزب التحرير كفيلًا بوضعك في السجن لمدة ٣ سنوات في الأردن، وأكثر من ١٠ سنوات في تركيا[١]، وأكثر من ٢٠ سنة في روسيا، ووضعك تحت التراب في أوزبيكستان وقرغيزستان، وكفيلة بإعدامك في ملعب أحد جامعات ليبيا وأمام الطلاب وأهاليهم في زمن المقبور القذافي (هذا فقط توزيع نشرات، فما بالك بأعمال سياسية أُخرى يقوم بها الحزب؟!)[٢]، وبلغ من

١ في تركيا مثلًا، وعلى مدار عقد ونصف، بلغت الأحكام بالسجن على شباب حزب التحرير ما مجموعه ١٦٢١ سنة من السجن (انظر: بيان صحفي العقوبات الثقيلة الصادرة بحق شباب حزب التحرير لن تزيدهم إلاَّ إيمانًا وتسليمًا! الجمعة، ٠٨ آذار/مارس ٢٠١٣م)

٢ محمود ممتاز

هلع الأنظمة المارقة من هذا الحزب والدعوة التي يمثلها أن تغلق مدن كاملة بمداخلها ومخارجها لمنع تجمعٍ أو ندوةٍ أو محاضرةٍ يقوم بها الحزب، كما شاهدنا مثلًا في ندوات إحياء ذكرى هدم الخلافة في الضفة الغربية، سنة بعد سنة!.

في السابق، كان أبناء المسلمين الذين يذهبون إلى بلاد الغرب يُفتَنون بحضارة الغرب وأنظمة الغرب، أما اليوم فإنهم صاروا يلمِسون خداع الغرب وفساد حضارته وعداوته للإسلام، وهذا جعلهم يتمسكون بإسلامهم وينشطون في العمل من أجل عودة الخلافة الراشدة.

ثم تواترت وتوالت تصريحات القادة والسياسيين الغربيين، ومراكز الفكر الغربية، محذرين من قرب قيام الخلافة، وقاموا باستطلاعات للرأي العام في العالم الإسلامي[٣]، وأرعبهم أن نسب المؤمنين بضرورة تطبيق الشريعة وتوحيد العالم الإسلامي بلغت أكثر من ثلاثة أرباع المسلمين! ففي نتائج استطلاع آراء مجموعة من أهل البلاد الإسلامية الذي نفذته منظمة «غالوب» لاستطلاعات الرأي[٤]، ضمن مشروعها العالمي في استطلاع آراء العالم - ومنها آراء المسلمين - والمنشورة على موقع مركز «غالوب» لدراسات المسلمين في ٢٠٠٨/٧/٢٥م.

الخصال موضع السؤال	نسبة الإيرانيين الموافقين أن الشريعة تحقق تلك الخصال	نسبة المصريين الموافقين أن الشريعة تحقق تلك الخصال	نسبة الأتراك الموافقين أن الشريعة تحقق تلك الخصال
تحقيق العدالة للمرأة	٧٦٪	٩٧٪	٦٩٪
تحدّ من سلطات الحاكم	٤٦	٤٩	٢٣
تحمي الأقليات	٦٥	٨٥	٥١
تحفظ حقوق الإنسان	٧٦	٩٧	٦٢
تخفِّض مستوى الجريمة	٧٦	٩٤	٦٨
تخفِّض من الفساد	٧٧	لم يشمل	٧٠
تجلب العدالة الاقتصادية	٧٨	٩٤	٥٥
تجلب قضاء عادلًا	٨٠	٩٦	٦٣
تجلب ازدهارًا علميًا	٥٩	٩٦	٥٢
تسمح للناس أن يقولوا كلمتهم في حكومتهم	٦١	لم يشمل	٥٣

٦٤٪ من المصريين المستطلعة آراؤهم رأوا أن تكون الشريعة هي المصدر الوحيد للتشريع، وحين

٣ (رويترز) – أظهر استطلاع موسع جديد أن أغلبية كبيرة في العالم الإسلامي تريد تعاليم الشريعة الإسلامية قانونًا رسميًا في بلادهم.

الإسلاميون والحكم.. رؤية من منظور استطلاعات الرأي

٤ https://news.gallup.com/poll/109072/Many-Turks-Iranians-Egyptians-Link-Sharia-Justice.aspx

قلبت الأسئلة نجد مثلًا ٤٪ فقط يرون أن الشريعة لو طبقت ستحد من التقدم العلمي.

وفي استطلاع في ١٠ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٧[٥]، شمل بلدانًا مثل إندونيسيا، وباكستان وتركيا وإيران ومصر، وجدنا النتائج التالية:

الخصال موضع السؤال	الأتراك	المصريون	الإيرانيون	إندونيسيا	باكستان
الشريعة مصدرًا من مصادر التشريعات	٢٨	٢٥	٦٢	٥١	٢٥
الشريعة المصدر الوحيد للتشريع	٨	٦٤	١٣	١٣	٥٢
الشريعة ليست من مصادر التشريع	٤١	٢	١٢	٨	٥

وفي استطلاع بتاريخ ٨ آذار/مارس ٢٠٠٨م[٦] نجد النتائج التالية: الغالبية العظمى من المستطلع آراؤهم رفضوا أخذ النموذج الديمقراطي الغربي، وإنما رأَوا نموذجًا «ديمقراطيًا منبثقًا من الإسلام»، لا من القيم الغربية، ثم حين تم الاستطلاع حول الشريعة كمصدر وحيد للتشريع، وجدت النسب التالية: ٥٤٪ من الرجال و٥٥٪ من النساء في الأردن، ٧٠٪ من الرجال و٦٢٪ من النساء في مصر، في إيران ١٢٪ من الرجال و١٤٪ من النساء، في إندونيسيا ١٤٪ من الرجال و١٤٪ من النساء.

من الواضح إذًا، أن سؤالهم حول جعل الإسلام مصدرًا من مصادر التشريع، إذا ما ضممنا إليه سؤالهم حول مصادر القيم الديمقراطية، ورفض غالبية المجيبين أن تكون من القيم الغربية، فإننا متأكدون أنهم أيضًا يرفضون القوانين الفرنسية والرومانية والإنجليزية مصادر للتشريع! فالذي يرفض القيم الغربية أساسًا للديمقراطية ويصر على أن تكون القيم الإسلامية هي التي تصوغ شكلها، يكون أشد رفضًا للقوانين الفرنسية والإنجليزية! خصوصًا في ظل إيمان الغالبية الساحقة من المسلمين أن أنظمة الحكم التي تحكمهم بتلك القوانين الغربية المنشأ، بالغة السوء والفساد وعدم القدرة على تحقيق الحد الأدنى من حقوقهم. إذًا، لنا أن نقول بأننا متأكدون تمامًا أن الغالبية الساحقة من المسلمين تريد الاحتكام إلى الشريعة وحدها، وتريد قيام دولة على أساسها!

عام ٢٠٠٦م، أيَّد - مثلًا - ٩٣ ٪ من الأردنيين أن تكون الشريعة الإسلامية مصدرًا للتشريع، وفي مصر أيَّد ٩٠٪ من المصريين دور الشريعة بالتشريع، كما أيد ذلك ٨١٪ من الباكستانيين، تتشابه هذه النتائج بين البلاد الإسلامية المشمولة في العينة، مثل: بنغلاديش، والمغرب، وإندونيسيا، وإيران، وفي المجمل كان المعدل العام هو ٧٩٪ للذين يؤيدون أن يكون للشريعة دور في التشريع في الدول العشر التي استَطْلَعت آراءها «غالوب» في ذاك العام.

ولم تختلف هذه النتائج عن استطلاعات الرأي ما بعد الثورات العربية، والتي نفذتها «بيو

٥ https://news.gallup.com/poll/103129/Turks-Odds-Over-Islamic-Law.aspx

٦ https://www.gallup.com/press/178982/muslims-democracy-theocracy.aspx

PEW» في نفس فكرة استطلاعات «غالوب» حيث سألت في ربيع ٢٠١١م عن مدى موافقة بعض الشعوب الإسلامية المشمولة بالعيِّنة على العبارات: «القوانين يجب بشدة أن تتبع تعاليم القرآن»، أو «القوانين يجب أن تتبع قيم ومبادئ القرآن، ولكن بدون تشدد»، حيث أيَّدت الغالبية العظمى في أكثر البلدان بأن تتبع القوانين تعاليم القرآن سواء بشكل «متشدد Strictly» أو بدون تشدد، فمثلًا: أيَّد ذلك ٩٨٪ من الباكستانيين، و٩٥٪ من الأردنيين، و٨٩٪ من المصريين، و٦٦٪ من الفلسطينيين.

وحين تفتَّت الاتحاد السوفياتي السابق، كان حزب التحرير يسابق الزمن ليملأ الفراغ الاستراتيجي الذي خلفه ذلك التفتُّت، ويتلقف هذه الجموع المسلمة التي خرجت من عقود من الاضطهاد الممنهج ضدها من قبل تلك الدولة المجرمة، وهي تتحرَّق لإسلامها، فاشتد عود الدعوة، وانتشرت انتشار النار في الهشيم، وقابلتها حكومات أوزبيكستان وطاجيكستان وقرغيزستان وغيرها بأشد أنواع البطش والإجرام، وامتلأت السجون بحملة الدعوة لإقامة الخلافة، وألجأ نشاط هذه الدعوة رئيس روسيا بوتين مرات ومرات ليحذر الغرب من الخلافة، وأنها في الحديقة الخلفية لروسيا!

ومن ثم توالت أعمال الغرب العدوانية ضد العالم الإسلامي مخافة أن تقوم الدولة فتنتشر، فتتعرض مصالح الغرب للخطر الشديد[٧]، فالانقلاب الفكري الشعوري الذي يشهده العالم الإسلامي أحدث تأثيرًا في الساحة الدولية. وقد ظهر هذا التأثير في ناحيتين:

١- إعلان الغرب الكافر على لسان قادته ومفكريه بأن الإسلام قد أصبح هو العدوّ رقم واحد، فالغرب الكافر ينظر للإسلام، كحضارة وكدولة تقوم على أساسه، مصدر خطر حقيقي عليه وعلى حضارته ونظام حياته.

٢- على ضوء إدراك الغرب الكافر لحقيقة الواقع الذي أصبحت عليه الأمة والمجتمع في العالم الإسلامي، قام برسم سياسته ووضع خططه وأساليبه لمواجهة هذا المد الإسلامي المتنامي على النحو التالي:

أ- الاحتلال العسكري لمنطقة الخليج والمياه المحيطة بالمنطقة، وإقامة القواعد المتقدمة في تلك المنطقة.

ب- وضع الخطط الأمنية التي تهدف إلى ما يلي:

١- تقوية وسائل السيطرة والتسلط الغربي على بلاد الإسلام.

٢- الحيلولة دون أي تحرك إسلامي في المنطقة.

٣- إضعاف المنطقة اقتصاديًا وعسكريًا.

---

٧ من ذلك مثلا: تحت عنوان «أوروبا . الخلافات الجديدة» نشرت صحيفة (Valeurs Actuelles) الفرنسية مقالًا في ٩٠/١١/١٩ تحدثت فيه عن «مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا» ودوره في مواجهة الإسلام: ومما عبر عنه المقال بكل صراحة «مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا هو رسم تمهيدي لوحدة أوروبية . أميركية من سان فرنسيسكو (San Francisco) إلى فلديفستك (Vladidvostok). آلة تتوافق مع القرن الحادي والعشرين لمواجهة تصاعد آسيا والإسلام».

أ- التسريع في عقد معاهدات الاستسلام بين الدول العربية وكيان يهود في فلسطين[٨].

ب- الدخول في الفوضى الخلاَّقة، وإشعال الحروب، والفتن الطائفية، وتدمير المدن الكبرى في العالم الإسلامي، وتدمير البُنى التحتية لإضعاف قدرة العالم الإسلامي على النهوض في وجه الغرب الكافر.

ت- تمييع المجتمع من ناحية الإسلام ليسهل عليه إخراج الإسلام منه، ودور الإعلام والترفيه في ذلك.

ث- تمييع قضية المسلمين المصيرية عن طريق نماذج الحكم الإسلامي المشوَّه.

ج- السيطرة الكاملة على المنطقة ككل في جو من عدم الاستقرار السياسي.

ح- إعلان الحرب على الإسلام والمسلمين في كل مكان وبمختلف الوسائل والأساليب.

فهذه دلائل على أن الأمة الإسلامية قد قطعت المراحل الأولى في رحلة العودة إلى الخلافة بشكل جيّد، ولا شك أن طريق النهوض والانعتاق من التبعية سيمر بمراحل من المآسي والمخاضات العسيرة. فالأمة الآن بمختلف أحزابها وحركاتها الإسلامية، وبمختلف مذاهبها، وعلى مدى الساحة في البلاد الإسلامية وحيثُ وجدوا في بلاد العالم بأسره، كلهم في غاية التحرّق لرؤية راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ترفرف فوق ربوع العالم الإسلامي، بل فوق ربوع العالم. وقد وصل الحال في بعض هذه الحركات أنها قررت إقامة الخلافة والحكم بما أنزل الله ولو باستعمال السلاح ضد الحكام الذين يرفضون ذلك، كما وصل الحال بأميركا أن تستبق قيام الخلافة بمحاولات استخباراتية بإقامتها عن طريق تنظيمات مخترقة، أو استغلال انعدام الوعي السياسي، والمشروع الفكري الناهض لدى تلك التنظيمات لتشويه صورة الخلافة في أذهان المسلمين!

إن المدقق في واقع الأمة والمجتمع في العالم الإسلامي اليوم، يدرك أن حملة الدعوة الإسلامية قد نجحوا، بحمد الله تعالى وتوفيقه، في إيجاد الرأي العام المنبثق عن وعي عام عند الأمة على الإسلام، وفكرة الخلافة وتطبيق الشريعة، وتوحيد العالم الإسلامي في دولة واحدة[٩]. لا يستطيع أحد أن يماري في تلك الحقيقة، أي أن عملية الانقلاب الفكري والشعوري في المجتمع تحققت مما

---

٨ اتجاه الرأي العام في العالم الإسلامي د. ماهر عبد الجواد، الوعي العدد ٩٣ كانون الثاني ١٩٩٤.

٩ الرأي المنبثق عن وعي لا يعني بالضرورة أن يدفع صاحبه إلى حمله أو حتى إلى التقيد به، ألا ترون بأن كثيرًا من الواعين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف! لذلك لا يسأل هنا أنه ما دام الرأي العام المنبثق عن وعي عام قد تحقق وجوده فعلًا في الأمة والمجتمع فلماذا لا تتحرك الأمة لإسقاط أنظمة الكفر المفروضة عليها وإقامة دولة الخلافة على أنقاضها؟ ولماذا لا تتحرك الأمة وهي تشاهد حكامها يسارعون في عقد معاهدات الاستسلام والتنازل عن فلسطين لأعداء الله اليهود؟

نعم لا يُسأل عن ذلك لأن تلبس الأمة بالقيام بالأعمال التي تؤدي إلى حدوث الانقلاب السياسي في المجتمع إنما يكون عندما تتبنّى الأمة قضية الإسلام المصيرية قضية مصيرية لها. فموضوع «الرأي العام» غير موضوع «تبني قضية الإسلام المصيرية» وغير موضوع «انقياد الأمة لحَمَلَة الدعوة نحو تحقيق قضية الإسلام المصيرية» فالموضوع الأول يتعلق بالرأي، والثاني يتعلق بالتلبُّس بالقيام بالعمل، كما أن أعمال حمل الدعوة التي تؤدي إلى إيجاد الرأي تختلف عن الأعمال التي تؤدي إلى احتضان هذه الرأي وإلى الانقياد لحملة هذا الرأي، [اتجاه الرأي العام في العالم الإسلامي د. ماهر عبد الجواد، الوعي العدد ٩٣ كانون الثاني ١٩٩٤].

سيفضي إلى التمكن من تحقيق الانقلاب السياسي بشكل طبيعي وحتمي بإذن الله.

لذلك فإن الرأي العام المنبثق عن وعي عام يسير بخُطًا حثيثة نحو تبني الأمة الإسلامية كلها بوصفها أمة قضية الإسلام المصيرية. «إن الرأي العام المنبثق عن وعي عام له مدلول لا بد من الوعي عليه؛ لأنها مسألة اختلط على الكثير من الناس أمرها، وتصوره البعض أنه عمل عام وليس رأيًا عامًا، أي انضباط بالإسلام من قبل مجموع الناس. والحقيقة، إن معنى هذا القول أن تلمس الأمة بمجموعها ضرورة الاحتكام إلى الإسلام ضرورة لا تدفعهم إليها عاطفة عاصفة أو رغبة آنية ملحة، وإنما يدفعهم إدراكهم بأن حياتهم وولاءهم يجب أن يكون للإسلام وحده، وهو أمرٌ لا يعني بالضرورة أن يباشر الناس تطبيق الأحكام الشرعية على أنفسهم، وإنما معناه أن يوجد الولاء للإسلام لا لغيره، وهذا لا يظهر أثره ملموسًا في الحياة العملية إلا في التطبيق»[١٠]

إذن المشكلة الآن ليست غرس فكرة الخلافة في الأمة، فالفكرة قد غُرست ونَبتتْ واستغلظتْ. وليست المشكلة إنشاء حزب أو أحزاب إسلامية أو تقوية هذه الأحزاب، فالغرضُ الأساسي من هذه الأحزاب قد تحقق. المشكلة الآن هي: إذا أقامت الأمةُ الإسلامية الخلافة، **هل تسمح لها دول الغرب، وعلى رأسها أميركا، بالاستمرار؟** وهل تملك دولة الخلافة الناشئة **القدرة على حماية نفسها من كيد دول الكفر الاستعمارية؟** هذه هي المرحلة التي وصلتها الأمة الآن؛ استغلظ النبت الذي غرسته يد حزب التحرير بحمد الله تعالى، واستوى على سوقه، وأضحى مشروع الأمة وليس مشروع حزب واحد أو حركة واحدة من الأمة، فالأمة لديها الوعي العام عليه، ولديها الرغبة والأمل بقيامه، ولديها الإيمان بأن دينها وشريعة ربها هي الضامن لحل مشكلاتها، أما التفاصيل لقيام ذلك المشروع، فلدى الحزب الوعي التام على تفاصيله.

هذا النجاح الباهر بفضل الله تعالى، تم على الرغم من ممارسة الأنظمة الحاكمة سياسة التعتيم الإعلامي التام على حزب التحرير، مما أدى إلى الحيلولة بينه وبين الوصول إلى شرائح واسعة من المجتمعات التي ينشط فيها، وفي ظلال حملات متواصلة تحاول تشويه فكرة الخلافة والانتقاص من قيمتها من قبل «مفكِّرين» و«مثقَّفين» و«محلِّلين»، والتي تأتي منسجمة تمامًا مع الحملة التي يقودها ساسة الغرب ومراكز الدراسات والبحوث الداعمة لها من أجل تشويه مفهوم الخلافة وجعل مسألة إحيائها أمرًا محظورًا.

وللإجابة عن السؤال الأول نقول: الدول الاستعمارية في العالم وعلى رأسها أميركا لا تسمح بقيام الخلافة، وإن قامت فستعمل جهدها لهدمها من جديد. هذه حقيقة لا يماري فيها إلا مغفَّل.

وللإجابة عن السؤال الثاني نقول بالفم بالملآن وبكامل الثقة: نعم إن الأمة الإسلامية مع دولتها الناشئة تملك القدرة، وتستطيع رد كيد الكفار الطامعين إلى نحورهم، بعون الله وتوفيقه..■

١٠ اتجاه الرأي العام في العالم الإسلامي د. ماهر عبد الجواد، الوعي العدد ٩٣ كانون الثاني ١٩٩٤.

العوامل الجغرافية لقوة الدولة وضعفها
دراسة بدائية ومختصرة (١)

عبد الحميد عبد الحميد

الدولة مؤسسة تستمد هيبتها من ثقة الأمة التي شكلتها بهدف تحقيق طموحاتها داخل حدودها وخارجها، فلا بد من حيازتها قوة تمكنها من تحقيق تلك الطموحات... وهذه دراسة بدائية ومختصرة لأهم العوامل الجغرافية لقوة الدولة وضعفها، لخصتها من أحد كتب الجغرافيا السياسية، لتنبيه الشباب عليها، وتكون نواة لدراسات تالية متخصِّصة ومعمَّقة.

١ ـ الموقع الجغرافي:

يجب على موقع الدولة أن يعينها على بناء قوتها العسكرية والاقتصادية، حائلًا دون تعريضها إلى ضغوط خارجية كبيرة؛ لذلك يجب أن تكون الدولة ذات شواطئ على بحار دافئة ومفتوحة، تسرّع من عملية تطوير اقتصادها، وتصلها بمن تشاء من الدول والقارات، على عكس الدول القارية المحرومة من الشواطئ. فموقع البرتغال المشرف على شاطئ الأطلسي الصالح للملاحة والمفتوح على العالم بطول /٦٠٠/ كم ساعدها على احتلال بلدان بعيدة عنها في كل من أفريقيا وأميركا اللاتينية، إبَّان عصر النهضة والكشوف الجغرافية. أما موقع هنغاريا القاري فيجعلها تحت رحمة الدول المحيطة بها وهي: رومانيا وأوكرانيا وسلوفاكيا والنمسا وسلوفينيا وكرواتيا وصربيا. وأمامها للنفاذ إلى البحر المتوسط المرور عبر رومانيا وصولًا إلى البحر الأسود، أو عبر دول يوغوسلافيا للوصول إلى البحر الأدرياتيكي، أو سلوك الطريق البري اليوغوسلافي الإيطالي للوصول إلى الموانئ الإيطالية؛ حيث تعد هذه البوابة الأفضل لهنغاريا في علاقاتها التجارية مع بلدان أفريقيا. وهناك دول مشرفة على بحار شبه مغلقة، كرومانيا وبلغاريا المشرفتين على البحر الأسود الذي تشرف تركيا على ذراعه المائي الذي يصله بالبحر المتوسط؛ حيث يعدُّ هذا الذراع الشريان الحيوي لكل منهما، فذلك أخف وطأة من عدم الإشراف على أي بحر. وعلى الرغم من التطور الذي طرأ على وسائل النقل البري والجوي، فلا تزال الدول القارية تعتمد على إحدى الدول

المجاورة أو أكثر لتنشيط تجارتها واقتصادها.

ويدفع الموقع القاري دولته للتوسع على حساب جيرانها إذا ما وجدت القوة العسكرية والاقتصادية المناسبة للوصول إلى الشواطئ البحرية. وخير مثال على ذلك الأطماع التاريخية للروس في الوصول إلى البحر الأسود، ومنه إلى البحار الدافئة عبر مضيقي البوسفور والدردنيل.

ويكون موقع الدولة عامل ضعف إذا كان قريبًا من دولة قوية، كموقع منغوليا بين روسيا والصين المتنافستين أبدًا على السيادة الإقليمية في منطقتيهما. ويزيد من ضعف هذه الدولة المطالب القومية الصينية فيها، بالإضافة إلى كون موقعها قاريًا محرومًا من أي شاطئ، وقلة عدد سكانها البالغ /٣/ مليون نسمة فقط بالنسبة إلى مساحتها الضخمة البالغة /١,٥/ مليون كم٢.

ويمكن الاستفادة من قرب موقع الدولة من دولة قوية من قبل دولة ثالثة منافسة لها في القوة؛ حيث يمكن جعلها رأس حربة في الهجوم عليها، أو جعلها بمثابة شوكة في خاصرتها وعامل ضغط عليها وتهديد، كالاتحاد السوفياتي الذي استفاد يومًا من قرب موقع كوبا من الولايات المتحدة.

ومما ساعد الاتحاد السوفياتي في استخدام كوبا لهذا الغرض، اختلاف النهج السياسي والاقتصادي بين كوبا الاشتراكية والولايات المتحدة الرأسمالية، إضافة إلى التباين الديني واللغوي والعرقي بينهما، حيث ينحدر الشعب الكوبي، كعموم شعوب دول أميركا الوسطى والجنوبية، من المجموعة العرقية اللغوية اللاتينية (اللغات الإسبانية والبرتغالية والإيطالية والفرنسية)، ويدين بالمسيحية الكاثوليكية، على خلاف الأصل العرقي واللغوي للشعب الأميركي الذي ينحدر من العائلة العرقية اللغوية الجرمانية (اللغات الإنجليزية والألمانية)، ويدين بالبروتستانتية والمذهب الإنجليكاني، إضافة إلى الظلم الناتج من اعتبار الولايات المتحدة لأراضي القارتين الأميركيتين المجال الحيوي لها، والخاضع لهيمنتها العسكرية والاقتصادية. وكذلك موقع اليابان في المحيط الهادي قبالة شواطئ دولتين كبيرتين هما روسيا والصين، فيشكل تحديًا أمام عودتها دولة عظمى، إضافة إلى ندرة مواردها الطبيعية من المواد الخام وسهولة حصارها بحريًا.

وتزداد أهمية موقع الدولة من خلال ما يكتشف فيها من المواد الخام الضرورية للتطور الصناعي الحديث، كبلدان الخليج العربي التي ستفقد جزءًا كبيرًا من أهمية موقعها في حال نضوب مادة النفط؛ حيث تشكل هذه البلدان حاليًا البقرة الحلوب التي تمد العجل الأوروبي والأميركي بالحليب.

وبعض الدول القارية تتصل بالعالم الخارجي عبر شواطئ مائية لبحار غير مفتوحة تمامًا في وجهها، كروسيا التي تشرف من الشمال على المحيط المتجمد الشمالي غير الصالح للملاحة طوال العام بسبب تجمده، ومن الشرق على المحيط الهادي ولكنه طريق طويل من أجل الوصول إلى البلدان المتأخرة صناعيًا واقتصاديًا حيث ميدان الصراع بين الدول العظمى، ومن الشمال الغربي تطل على بحر البلطيق الذي يخضع منفذه البحري لسيطرة الدانمارك الدولة العضو في حلف الناتو، وتشرف من الجنوب على البحر الأسود الذي لا يقود الروس إلى البحار

الدافئة إلا عبر مضيقي البوسفور والدردنيل الخاضعين لسيطرة تركيا العضو كذلك في حلف الناتو.

ووقوع الدولة على الطرق التجارية الرئيسية والممرات الهامة كالمضائق والقنوات واحتواؤها على الرؤوس والخلجان يكسبها أهمية كبرى، ومثالها البلدان العربية التي تحتل عنق الزجاجة للعالم القديم، والبوابة المطلة على كل من العالمين المتطور والمتخلف صناعيًا. ولكن أهمية هذا الموقع يفرض على شعوبه إقامة دولة قوية تحميه دائمًا من أخطار الاحتلال ومطامع الطامعين.

هذا وإن الموقع القاري يدفع الدولة إلى امتلاك قوة برية ضاربة تدعمها القوة الجوية المناسبة، كما هو لروسيا اليوم وكما كان لألمانيا يومًا. بينما يدفع الموقع البحري أو الجُزُري الدولة لامتلاك القوى البحرية المناسبة، كما هو لأميركا اليوم، وكما كان لبريطانيا واليابان سابقًا.

أما الموقع الجُزُري فذو أهمية خاصة؛ حيث يشكل البحر المحيط عامل وصل بالعالم الخارجي، وفي نفس الوقت يشكل عامل فصل وعزلة، وينمي في شعب الجزيرة روح الشجاعة وارتياد المخاطر، ويدفع الدولة إلى بناء أسطول بحري ضخم يمكّنها من الغزو والسيطرة.

وأخيرًا فموقع الدولة بالنسبة إلى خط الاستواء مؤثر في قوتها، فكلما كان المناخ معتدلًا رطبًا قليل الحرارة ساعد على قيام دول قوية ومدنيات كبرى، كالدول والمدنيات التي قامت في حوض المتوسط وسادت العالم.

2 ـ الرقعة السياسية ـ المساحة:

تعد الرقعة السياسية بمثابة الجسد الحقيقي للدولة، الذي تستمد منه عناصر قوتها من عوامل جغرافية وموارد اقتصادية وإمكانيات دفاعية. وكما تمتد الرقعة السياسية إلى مياه البحر الذي تشرف على شواطئه أراضي الدولة، حيث يصل عمق المياه الإقليمية إلى ما يزيد على /٢٢,٢/ كم حسب ما تم إقراره في ما يسمى بالقانون الدولي بحسب اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار ـ جامايكا ١٩٨٢م، فإن الدولة كذلك تبسط سلطانها على أجواء رقعتها السياسية.

وتتفاوت الدول في مساحاتها تفاوتًا كبيرًا، فهناك دول عملاقة كروسيا الاتحادية التي تزيد مساحتها على /١٧/ مليون كم٢، وكندا التي تكاد تصل إلى /١٠/ مليون كم٢، والولايات المتحدة /٩,٨/ مليون كم٢، والصين /٩,٦/ مليون كم٢، والبرازيل /٨,٥/ مليون كم٢، وأستراليا /٧,٧/ مليون كم٢. وهناك دول قزمة تكاد لا ترى على الخريطة، كقطر /١١,٥/ ألف كم٢، ولبنان /١٠,٥/ ألف كم٢، والبحرين /٧٦٥/ كم٢، ومالطا /٣١٦/ كم٢، وجزر المالديف /٢٩٨/ كم٢، وإمارة ليشتنشتاين /١٦٠/ كم٢. وللمقارنة فمساحة محافظة حلب تبلغ /١٨,٥/ ألف كم٢.

وتتميز الدولة ذات المساحة الواسعة باحتوائها على مناخات متعددة وترب مختلفة، وبالتالي تمتلك ثروات جيولوجية ونباتية وحيوانية متنوعة، وتكون مهيئة لإنتاج اقتصادي متنوع يحقق التكامل، وتمتلك بها القدرة على استيعاب عدد أكبر من السكان؛ حيث تعد الرقعة الكبيرة عامل قوة للدولة إذا ما رافقها نمو سكاني وتطور تقني كافٍ لاستغلال موارد تلك الرقعة.

ووجود مساحات واسعة ضمن الدولة الكبيرة غير صالحة للاستثمار الاقتصادي بسبب رداءة الظروف المناخية أو انعدام الثروات المعدنية يشكل عبئًا على الدولة، ويسهم في توزيع السكان توزيعًا غير متعادل. فالجفاف في صحارى وسط أوستراليا، والحرارة الشديدة والمطر الغزير والغابات الكثيفة وسط البرازيل وغربها، والمناخ البارد شمال كندا وغربها، جعل المناطق الأكثر ازدحامًا في كل من هذه الدول هي الأطراف الخارجية، بينما تخلو مناطق كبيرة تمامًا من السكان. لكن الإنسان، ومع التقدم العلمي والتقني، يستطيع تذليل كثير من الصعوبات الطبيعية، كما في حالة شق الأقنية المائية واستصلاح الصحارى، مما يسمح بإيجاد مراكز سكنية جديدة.

وتظهر القوة الكامنة للمساحات الكبيرة للدول أثناء الحروب، حيث تلعب المساحات الواسعة دورًا هامًا في إمكانية الدفاع والمقاومة ضد الغزاة في حالات الاجتياح العسكري، حيث تمنحها المرونة الكافية والقدرة على استيعاب واحتواء القوات الغازية ليتم الإجهاز عليها بعد إنهاكها، فيما يسمى في الاستراتيجيا العسكرية بـ»الدفاع في العمق». وذلك على عكس الدول الصغيرة التي تسقط بالضربة الخاطفة الأولى، كما حدث لبلجيكا في الحربين العالميتين عندما سقطت بسرعة على أيدي القوات الألمانية، وكما حدث للكويت أمام العراق عام ١٩٩٠م. بينما كانت الأراضي الروسية مقبرة للغزاة الفرنسيين أيام نابليون، والألمان أيام هتلر.

فأيام نابليون، قرر القائد الروسي كوتوزوف من أجل الحفاظ على الجيش الروسي قرارًا مؤلمًا بالانسحاب من موسكو نحو الجنوب وتسليمها للفرنسيين دون قتال، بعد أن فضّل جميع القادة الموت تحت أسوارها، وقال كلمته: «إن خلاص روسيا ببقاء جيشها». ووافقه أحد القادة بالقول: «إذا كان الأمر موقوفًا على سلامة روسيا وأوروبا، فموسكو ليست أكثر من مدينة مثل باقي المدن»، وقال الثاني: «إنه لفخر أن نموت تحت أسوار موسكو، ولكن الموقف الآن ليس هو موقف اكتساب الفخر». وهكذا انسحب كوتوزوف بالجيش واستفاد من العامل الجغرافي الذي يقف لصالح قواته وضد القوات الفرنسية التي تجاوزت /٦٠٠/ ألف مقاتل توغلوا في أراضٍ واسعة المساحة وباردة تغمرها الثلوج، وبعيدة عن أماكن إمدادهم بالمؤن والعتاد والرجال. وبعد مدة وجيزة قضي على جيش نابليون الذي لم يبقَ منه سوى /٤٠/ ألف مقاتل. وقد تكرر هذا الفعل الروسي بقيادة المارشال جوكوف الذي تراجع وماطل وقام بالمناوشات اليومية والمعارك الجانبية الاستنزافية استعدادًا للمعركة الفاصلة مع القوات الألمانية المنطلقة كالسهم، والتي احتلت من روسيا أكثر من مليون كم^{٢} ووصلت إلى ضواحي موسكو أيام هتلر؛ حيث قصمت ظهرها الظروف المناخية السيئة كذلك وأرغمتها على الانكفاء. فمما يرهق العدو المندفع التراجع إلى العمق الاستراتيجي، ومقاومته أثناء التراجع حتى تنهك قواه في معارك غير حاسمة، وتأجيل الحسم إلى وقت تصبح فيه قوات العدو منهكة وبعيدة عن مراكز إمدادها. وكذلك الأمر مع احتلال اليابانيين لجميع الأجزاء الساحلية للصين قبل وأثناء الحرب العالمية الثانية، حيث استطاع

الصينيون احتواء هذا الغزو ومواصلة الدفاع والمقاومة والمحافظة على الدولة.

وتبقى الدول الصغيرة عاجزة تمامًا عن التغلب على عيبها المتمثل في صغر مساحتها، حتى ولو استغلت أفضل استغلال. وإن أي نصر تحققه دولة صغيرة على دولة كبيرة لهو نصر مؤقت، ويشكل عبئًا على الدولة الصغيرة التي ستجد نفسها مضطرة لنشر وتشتيت قواتها في الأراضي المحتلة. ومثاله كيان يهود وجواره العربي الكبير.

3 ـ الشكل:

يلعب شكل الدولة دورًا هامًا في الدفاع عنها أيام الحروب، وفي تنظيم الداخل إداراياً واقتصاديًا ومواصلات. فكلما كان شكل الدولة ملمومًا وأطراف الدولة متقاربة البعد عن مركزها أعطاها ذلك قدرة على الدفاع؛ لعدم حاجتها إلى بعثرة قواتها على أطرافها البعيدة لأجل حمايتها واستقرار أمنها، وكانت ضابطة لحدودها بشكل أفضل، وساعدها في بناء شبكة مواصلات مركزية تصل ما بين العاصمة وبقية المراكز الإدارية بشكل متساوٍ، مما يؤدي إلى تسهيل استتباب الأمن، وتوزيع سلطة الدولة على أرجائها بقدرٍ متساوٍ. ومن الأمثلة على تلك الدول كل من رومانيا وبولونيا.

وتمتاز الدولة ملمومة الهيئة بقصر حدودها بالنسبة لمساحتها، مما يقلل من نقاط الضعف الدفاعية. ويزداد أمن الدولة واستقرارها كلما اقتربت عاصمتها من وسطها، على خلاف الدول ذوات العواصم المتطرفة.

أما الدول المتطاولة فتزيد فيها نقاط الضعف على حدودها خلال الدفاع ضد أي هجوم خارجي؛ لأن قواتها تكون مبعثرة بشكل متقطع كي تستطيع تغطية الحدود الطويلة. ويزيد هذه الدول ضعفها إذا ما جاورت دولًا معادية على طول الحدود. أما إذا جاورت دولًا متجانسة معها في الأصول البشرية والنمو الاقتصادي فيخف العبء عنها كثيرًا. وتكون الدولة محظوظة إذا ما فصل بينها وبين جيرانها حواجز طبيعية تسهل عليها الدفاع عن نفسها من جهتها مع نشر أقل عدد ممكن من القوات عليها.

ومثال الدولة المتطاولة تشيلي التي يزيد شريطها الساحلي على /٤٠٠٠/ كم في إشرافه على المحيط الهادي، وتقارب حدودها الشرقية مع الأرجنتين هذه المسافة، لكن ساحلها بعيد جدًا عن اليابسة المقابلة حيث دول شرق وجنوب آسيا، مما يجعل الدولة شبه معزولة وقليلة التعرض إلى هجوم بحري، إضافة إلى الطبيعة التضريسية الجبلية الوعرة على الجانب الغربي من الدولة مما يؤمن الحماية لمراكز السكن شرقها. بينما حدود تشيلي الشرقية مع الأرجنتين فمستقرة وهادئة لعدم وجود خلافات إقليمية على الأرض، أو في النمو الاقتصادي، أو حتى في الأصول البشرية واللغوية والقومية. فالجميع ينتمون إلى المجموعة اللغوية اللاتينية، إلى جانب السكان الأصليين من الهنود الحمر والهجناء من التزاوج ما بين الطرفين، والجميع يدينون بالمسيحية الكاثوليكية.

لكن مع وجود تلك الصفات المشتركة يمكن للدولتين المتجاورتين أن تشتعل بينهما نار الخلاف إذا كانتا تتبعان نهجين سياسيين وبالتالي اقتصاديين واجتماعيين مختلفين، كما كان قائمًا من خلافات بين نيكاراغوا الاشتراكية

المدعومة من الاتحاد السوفياتي وبين هندوراس الرأسمالية المدعومة من أميركا، أو ما هو قائم بين الكوريتين.

أما النرويج فلا يشكل شكلها الطولاني عبئًا كبيرًا عليها في الدفاع لكون ما يزيد على نصف طول شريطها الساحلي يشرف على المحيط المتجمد الشمالي، والباقي على الأطلسي. وإن موقع النرويج لذلك يقلل من أهميتها الاستراتيجية إذا ما استثنينا ساحلها الجنوبي المشرف على بحر الشمال، والذي كان يمكن أن يستخدم كقواعد عسكرية لحلف شمالي الأطلسي ضد السوفيات الذين كانوا مندفعين غربًا عن طريق بحر البلطيق باتجاه الأطلسي لشل حركة البحرية الأميركية في النقل والإمداد إذا ما حدث صدام بين الدولتين على الساحة الأوروبية. أما الحدود الشرقية للنرويج فهي مشتركة مع السويد، وكلاهما عضو في حلف الناتو الذي أوجدته أميركا كسد حديدي في وجه زحف الاتحاد السوفياتي غربًا نحو أوروبا، ولتخفف عن نفسها من عبء مواجهته؛ حيث تصبح دول غرب أوروبا تتحمل عبء الدفاع عن نفسها ضد الهجمة السوفياتية.

وأما الشكل المتطاول لإيطاليا في عُرض المتوسط فيعطيها مرونة في الحركة، حيث يسهل اتصالها بدول أفريقيا وشرق المتوسط، وقد ساعدها في سيطرتها على معظم البلاد المشرفة على المتوسط زمن الدولة الرومانية. وحدودها الشمالية مع النمسا وسويسرا تجعلها تستفيد من القوة الاقتصادية الأوروبية بعلاقات التعاون وحسن الجوار، حيث تتفرغ للتغلغل العسكري والاقتصادي جنوبًا وشرقًا إذا استطاعت. وهذا الاعتبار كان قاعدة التحالف بين إيطاليا موسوليني وألمانيا هتلر، حيث كان المأمول أن تستفيد ألمانيا من الموقع الهام لحليفتها.

وهناك الشكل المتناثر للدول عندما تتكون من مجموعة من الجزر المبعثرة والمتقاربة كما هو حال الفليبين وإندونيسيا واليابان، حيث يصل طول امتداد جزر الأخيرة إلى حوالى /٢٠٠٠/ كم. ومن سلبيات هذا الشكل صعوبة بناء سلطة مركزية قوية، وإضعافه لعملية الدفاع لاضطرار الدولة إلى بعثرة قواتها في جزرها كافةً، مما يسهل قيام حركات تمرد وانفصال للجزر البعيدة، ويسهل غزوها من الخارج.

والموقع الجُزُري يلعب وظيفتين متناقضتين معًا، وهما سهولة الاتصال بالعالم الخارجي عبر البحر إذا كان مفتوحًا، وفي نفس الوقت يشكل حماية من الأخطار الخارجية، إلا من خطر دولة تمتلك قوة بحرية تفوق قوة دولة الجزر البحرية. ومن أمثلتها بريطانيا.

وقد كان اتصال إيطاليا بالبر الأوروبي هو الذي يعرضها للأخطار في كل مرة عبر تاريخها، ومنها الدمار الذي لحق بالإمبراطورية الرومانية عام ٤١٠م على يد القبائل الجرمانية من الوندال والهون والقوط. وقبل ذلك كان القائد القرطاجي هنيبعل قد عبر جبال الألب قادمًا من فرنسا ووصل إلى سهل البو، مهددًا أراضي الدولة الرومانية ومشرفًا على تدميرها، لولا استنزاف قواته وخسارته أمام فابيوس سنة ٢٢٠ ق.م..■

مكر أو انهيار في تركيا

ابومصعب نبيل

هل ما حدث في الآونة الأخيرة من أحداث متسارعة في تركيا هو عبارة عن حرب وانتقام من شخص الرئيس أردوغان كما يعلن عنه؟ أم يراد به المساس بالشخصية التركية المسلمة؟ أم هو غضب أميركي لأجل القس برونسون؟ أم هي نتاج كذبة تفنن الإعلام الخبيث في تزويقها ورميها بأجمل صورة ممكنة حتى تبهر الناظر قصير النظر وعديم البصر أنه إنجاز خارق لرجل لم تنجب مثله الأمهات؟. لنتبين ذلك سنقوم باستعراض سريع لحال تركيا الاقتصادي بعد هدم الخلافة العثمانية وتقاسم ثرواتها.

يلاحظ أنه من فترة استلام مصطفى كمال أتاتورك وتشكيله حزب الشعب الجمهوري ١٩٢٣م حتى عام ١٩٢٩م تركَّز الاقتصاد التركي على تراكم الثروات الخاصة فقط. وبين عام ١٩٢٩م أزمة الكساد العالمي إلى ١٩٤٥م، والتي خلف بها عصمت إينونو مصطفى أتاتورك، تركَّز الاقتصاد على تراكم الدولة للثروة في الأزمات العالمية. ومن عام ١٩٥٠م إلى ١٩٨٠م تعاقب على الحكم كل من عدنان مندريس، وانقلاب الجنرال جمال جورسل ١٩٦٠م، وعودة حكومة الائتلاف برئاسة عصمت إينونو، وبعدها فوز حزب العدالة بزعامة سليمان ديميريل، ثم فترة الفوضى العسكرية، يتبعها فوز حكومة أجاويد، حتى الانقلاب العسكري لصالح كنعان إيفرين... فقد تميزت هذه الفترة بإنتاج التجارة الليبرالية في السلع والخدمات وتعاملات أسواق المال، ولكن الاقتصاد كان متخلفًا يبحث عن التطوير والإصلاح معتمدًا على الاستدانة الخارجية؛ حيث وصل الدين عام ١٩٨٠م حوالى ١٦.٢ مليار دولار، أي أكثر من ربع الناتج المحلي الإجمالي، وتزايد الدين بعد ذلك. وبعد الانقلاب، أي عام ١٩٨٣م، فاز تورغوت أوزال بأغلبية، وخلفه بعد وفاته سليمان ديميريل، ثم فاز نجم الدين أربكان بأغلبية عام ١٩٩٥م مع حزب الرفاه، ثم انقلاب ١٩٩٧م وسقوط حكومته، فتولى أحمد نجدت سيزر... فقد تميزت هذه المرحلة بتأثر الاقتصاد التركي من حرب الخليج؛ حيث أوقفت خط كركوك؛ وبذلك خسرت تركيا من ٣٠٠ إلى٥٠٠ مليون دولار بدل رسوم عبور النفط، مع خسارة ٣ مليارات دولار كتبادل تجاري

مع العراق عام ١٩٩٢م، فاستخدمت الحكومة تصنيفات وكالات التصنيف الائتماني لتركيا في الثمانينيات لجذب أموال لتغطية العجز، فبلغت صادرات السندات الدولية في تلك الفترة ٧.٥ مليار دولار، وفتح باب الاقتراض، ونتيجة لذلك ارتفعت الديون الأجنبية قصيرة المدى بشكل حاد، وعدمت الثقة في قدرة الحكومة على إدارة الديون، وفي عام (١٩٩٣-١٩٩٤)م خفض تصنيف تركيا في الوكالة لانعدام الثقة؛ مما أدى إلى هروب رؤوس الأموال معلنة انهيار العملة، ثم تلاها تعويم العملة عام ١٩٩٩م حتى أصبحت الليرة التركية مقابل الدولار حوالى ١٦٥٠٠٠٠، وذلك في عهد نجم الدين أربكان وأحمد نجدت سيزر؛ حيث تميزت هذه المرحلة بالركود الحاد وارتفاع معدلات التضخم، وحدثت أزمة ٢١ شباط ٢٠٠١م، والتي عرفت بأزمة الأربعاء الأسود؛ حيث أتهم أحمد نجدت سيزر حكومة أجاويد بالتقصير، فانسحب مع بعض الوزراء مخلفًا وراءه انهيارًا للعملة التركية؛ مما زاد الديون من صندوق النقد الدولي، وارتفع الدين الذي كان ٣٨٪ في عام ٢٠٠٠م إلى ٧٤ ٪ عام ٢٠٠١م، وارتفع معدل البطالة من ٦٥٪ عام ١٩٩٩م إلى ١٠.٤٪ عام ٢٠٠١م. وفي عام ٢٠٠٢م، فاز حزب العدالة والتنمية بزعامة رجب طيب أردوغان، فلم يستطع التولي لأنه كان ممنوعًا من ممارسة السياسة، فاستلم عبد الله غل، وعدل الدستور ليسمح بتولي أردوغان منصب رئيس الحكومة. وفي عام ٢٠٠٤م حذف ستة أصفار لتصبح العملة الجديدة اسمها الليرة التركية الجديدة التي تساوي مليون ليرة تركية، وهنا بدأ تزاوج القرار السياسي مع الثقافة الدينية متمثلة في حكم رجب طيب أردوغان. وفي عام ٢٠٠٧م، اختار حزب العدالة والتنمية عبدالله غل ليكون مرشحها الرئاسي، ولكن تم مقاطعة الانتخابات لتلغى الجولة الأولى بعدم حضور أغلبية الثلثين ليستلم بعدها رجب طيب أردوغان، وهو يعتبر أول رئيس يتم انتخابه من الشعب مباشرة، وفاز بنسبة ٥٢٪ لتبدأ مرحلة جديدة في الاقتصاد التركي الوهمي؛ حيث إن للإعلام قوة جبارة في طمس الحقائق، وتزيين من تريد إظهاره، وهنا سوف نعرض بعضها بالأرقام.

في نهاية عام ٢٠١٣م، بلغت المديونية الخارجية التركية حوالى ٣٨٨ مليار دولار، في الوقت الذي تداول فيه تخلص تركيا من الدين الخارجي، فهل يعقل أن تنتج دولة مثل تركيا، والتي مرت في عدم استقرار سياسي طيلة هذه الفترة وكانت تعيش أوضاع سياسية متقلبة بحرب خفية بين عمالة أوروبا وخاصة بريطانيا وعمالة الولايات المتحدة الأميركية حتى جاء رجب طيب أردوغان، وببضع سنين استطاع على حد زعمه أن يوفي صندوق النقد الدولي وكل ديون تركيا، فكيف نفسر ذلك؟

والحقيقة أنه نعم، إن تصريح أردوغان كان صحيحًا من حيث اللفظ، أي أنه تم تسديد آخر قسط من الديون المستحقة على تركيا لصالح صندوق النقد الدولي، ولا يشمل هذا الكلام ديون تركيا المستحقة عليها لصالح الحكومات الأجنبية والبنوك والمؤسسات المالية وغير المالية،

كما لا يشمل السندات العالمية. وهكذا تم التلاعب بعقول الكثيرين. وطبعًا، هذا التصرف غير مقبول في الحالة العادية من قبل صندوق النقد الدولي وغيره من مؤسسات المالية إلا برضى وضغط أميركي، وطبعًا تم مضاعفة الفائدة لهذه الديون بشكل كبير جدًا، وساعدت أميركا بإلغاء الرسوم الجمركية على تركيا لصادراتها إلى الولايات المتحدة والدول التي تتبع لها؛ لذلك نجد صادرات تركيا في عام ٢٠١٤م تعدَّت ١٥٢ مليار دولار، وهذا ليس دون مقابل؛ بل لوصول أميركا إلى غايتها في السيطرة على تركيا كاملة، وقرارها، وتغيُّر نظامها من برلماني إلى جمهوري، ولن يحقق لها هذا إلا بشعبية أردوغان الماكر، ناهيك عن استخدام تركيا وأراضيها للمخططات الأميركية، ورسم شخصية أردوغان لتكون منارة يهتدى بها لتطبيق العلمانية الحديثة التي تكلم عنها، على أنها تجربة ناجحة ووصفة سحرية؛ وبذلك تربعت تركيا في المرتبة ١٧ عالميًا، وبهذه الخلطة الماكرة، وما تبعها بالانقلاب إلا لتنظيف تركيا من كل مالا يتبع سياسة أميركا بشكل نهائي، وهذا يدخل في خطة أميركا (تنظيف الشرق الأوسط من كل العمالات الأوروبية والبريطانية خاصة) وبعدها قبل أردوغان بتقديم موعد الانتخابات الرئاسية والبرلمانية، وهذا التقديم لم يكن محض صدفة، بل مخطط له قبل أن تتقلص شعبيته وتدخل تركيا في محن اقتصادية كبيرة كما يحدث اليوم.

وفي أواخر عام ٢٠١٦م، أعلن البنك المركزي التركي أن ديون الشركات التركية بالعملة الأجنبية بلغ نحو ٢١٠ مليار دولار، بينما بلغ معدل التداول أكثر من ١٦٠ ٪، وهي نسبة تجبر جميع الشركات على مزيد من الاقتراض أو الإفلاس؛ لأن معدل التدوير يعني كل ١٠٠ دولار مستحقة على تلك الشركات تم اقتراض ١٠٠ دولار آخر، إضافة إلى ٦٠ دولار أخرى إضافية؛ ولذلك نجد أن أكبر الشركات التركية لتصنيع الغذائيات (يلديز القابضة) التي يملكها أغنى رجل في تركيا (مراد أولكر) تعلن عن اتفاق لإعادة تمويل مبلغ وصل إلى ٧ مليارات دولار مع مقرضيه.

وفي نهاية آذار ٢٠١٨م أعلنت وزارة الخزينة التركية عن إجمالي الدين الخارجي لتركيا ٥٥٣.٢ مليار دولار، وهذا الرقم يتجاوز نصف الناتج المحلي الإجمالي، ونجد أن الحكومة هي التي تقود الشركات إلى مزيد من الاقتراض؛ مما أدى إلى انزلاق الاقتصاد التركي وعجز الميزان التجاري.

ولذلك نجد أن اعتماد الاقتصاد التركي على الأموال الساخنة (هي استثمار اجنبي غير مباشر، ويتضمن شراء غير المقيمين للأوراق المالية والمشتقات المالية القابلة للتجارة والتبادل في البورصات) تعد سياسة غير فعَّالة في مؤشرات الحساب الجاري والقطاع العقاري، ويجب على صانعي السياسة الاقتصادية أن لا يثقوا في حركة الأموال الساخنة ذات التمويل القصير، ناهيك عن أضرارها التي لا تحصى؛ لذلك نجد أن انهيار العملة التركية هو أمر عادي بعد بداية رفع الوصاية الأميركية. إذا كانت هذه كذلك، فقد لا تكون أصلًا رفع وصاية، بل خداع كما عهدناهم.

- قد تكون ضد الاتحاد الأوروبي وعملته؛ لأن

الليرة التركية لها تعلق بمنطقة اليورو؛ حيث لها قروض تزيد عن ١٥٠مليار دولار في تركيا، وبذلك نلاحظ تعرض بنوك كل من إسبانيا وفرنسا وإيطالية لأزمة. وهذا لوحظ حيث انخفضت اسهم uncredit الإيطالية ٥.٦ ٪ ، و BBVA الإسبانية٥.٥ ٪، ومؤشر BNP Paribas٤.٣ ٪، وDEVTSHE BANK ٥.٣٪، والجميع يعلم عدم قدرة تركيا على جلب النقود خلال الأوقات الصعبة لسداد ذلك الدين؛ وذلك أدى إلى انخفاض غير مسبوق لليورو أمام الدولار. وهنا يخطر سؤال: لماذا يتمسك أردوغان بعدم رفع الفائدة، ويمنع البنك المركزي التركي من ذلك، وهو الذي خفض الفائدة قبل الأزمة بأسبوع، فهل هي مفتاح انهيار اليورو؟ أو لإظهار عداء أميركا الجديد لتركيا لتنخرط مع أحد أطراف الحرب التجارية المنعقدة الرحى؛ لتكون عين وأذن الولايات المتحدة. وهذه التحالفات التي سوف تظهر قريبًا على الساحة الدولية سوف تحاول أميركا جرها عنوة إلى حرب عسكرية؛ وبذلك تخرج هي من الأزمة المالية ولم تنهك؛ لتعيد هيكلة النظام المالي الدولي من جديد بصيغة أخرى؛ ولذلك نلاحظ من تصريحات أردوغان أنه يتوجه إلى التحالف الروسي الصيني.

وفي جميع الحالات، لا يخفى علينا ولا على العالم مكر الولايات المتحدة وخبثها. وإن العالم سوف يشهد تساقطًا لهيكل النظام المالي العالمي بدفع أميركي، وتحاول أيضًا افتعال قلاقل على جميع الأصعدة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية حتى تغرق العالم بحرب لا قبل لهم بها، وهذا كله من مفرزات هذا المبدأ العقيم الذي قام على الربا والاستغلال وفرض العبودية.

لذلك ليس هناك حل أمام العالم سوى الانصياع لما تخطط له الولايات المتحدة لأنهم ليس لديهم رؤية واضحة خارج هذا المبدأ المقيت؛ ولكن الاسلام قادم، ونسأل الله عز وجل أن يعجل لنا بظهور هذا المبدأ الرباني الذي يخرج العالم أجمع من هذا المأزق الكبير ويعيد الحقوق إلى أهلها، ويسير بالعالم إلى ما يحب الله ويرضى، ويخرج العباد من الظلم الواقع (منذ سقوط دولة الخلافة التي رآها العالم الغربي أنها عقبة أمام تقدم الجشع وسرقة أقوات العالم. وما نرى من رفاهية ومدنية في الغرب، ما هو الا بسبب سرقة أرزاق العالم) الى عدل الإسلام .

إن السعادة لا تتحقق بمزيد من الظلم والنهب وقلة الأخلاق، وإن الإنسان هو نفسه في كل العصور، وهو بحاجة إلى منهج رباني يحكم مفاصل الحياة فيه. فالله أعلم بنا من أنفسنا؛ لذلك نناشد كل المخلصين في هذا العالم أن يقفوا ويكبحوا تمرد هذا الظالم وليس المسلمين فقط، فإن وجود دولة كدولة الخلافة تضمن العدل وتحارب الاستغلال والظلم والجشع على العالمين.

ونقول لهذه الأمة غذي السير مع حزب التحرير، فهو الوحيد القادر على دك معاقل الظلم بمنهجه القويم، وحماية رجال هذا الحزب العظيم من بطش العملاء الخونة الذين باعوا الدين بالدنيا، وغرَّهم بالله الغرور. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾.■

الأصول غير المعتبرة شرعًا (١)

حمد طبيب - بيت المقدس

إن من أكبر النعم التي أنعم الله عز وجل بها على هذه الأمة الكريمة أن حفظ لها دينها من التحريف والضياع والكذب والتدليس؛ فحفظ كتابه الكريم وسنة نبيه ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ وكلمة الذكر هنا لا تنحصر في القرآن فحسب؛ بل في القرآن الكريم والسنة المطهرة التي بيَّنت ووضَّحت وفسَّرت آيات القرآن... وهذا من حفظ علوم القرآن، ومن بيان معانيه، قال تعالى: ﴿...وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾. يقول الإمام ابن حزم الظاهري رحمه الله في كتاب «الإحكام في أصول الأحكام»: (ولا خلاف بين أحد من أهل اللغة والشريعة أن كل وحي نزل من الله عز وجل فهو ذكر منزل... فالوحي كله محفوظ بحفظ الله عز وجل له بيقين...).

وهذا بعكس الأديان الأخرى، كاليهودية والنصرانية؛ حيث تفرقوا في أصول الدين؛ بسبب عدم التأكد والتيقُّن في الأخذ عن الأشخاص، وبسبب انقطاع السند، وعدم وجود القطع واليقين في عملية النقل؛ فأصبحت الأصول عندهم؛ (في العقيدة والشريعة) مشكوكًا فيها، من ناحية القطع باتصالها بالوحي (بالله عز وجل)، قال تعالى في وصف تحريفاتهم في أصول الدين، وفرقتهم بسبب هذه التحريفات: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ۝١٥٩﴾، وقال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠﴾.

وقد تميَّزت هذه الأمة (أمة الإسلام) بعلم السند الذي يصل الرواية (المتن) إلى منتهاه؛ أي إلى الرسول ﷺ؛ وهي ما تسمى (بسلسلة الرواة)، واتَّصفت كذلك وتميَّزت - عن باقي الأمم - بعلم الرجال الذي يصنّف الرواة، ويميِّز الصادق من الكاذب منهم، واتصفت بالشرح والبيان وكثرة العلوم التي تتفرع من علم

الكتاب والسنة النبوية... وهذا بعكس اليهود والنصارى الذين أضاعوا دينهم وحرَّفوه، وأصبح عبارة عن خرافات بشرية - في أغلبه - لا تستند إلى نص صحيح، وتتناقض فيما بينها حتى في الإنجيل الواحد أو التوراة...

إن من أعظم العلوم التي تخدم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ(الشريعة) هو علم الأصول - سواء أكان في موضوع الإيمان والاعتقاد، أم في الأحكام الشرعية العملية (أصول الفقه) - الذي بيَّن القواعد والأدلة المعتبرة شرعًا لطريقة أخذ العقيدة بشكل يقيني لا يخالجه شك، ولما يبنى عليه علم الفقه في أحكام الشريعة، وطريقة الاستنباط والاستدلال والقياس الصحيحة، بناءً على هذه القواعد والأدلة؛ وذلك من خلال محاكمة الدليل، وفهمه فهمًا صحيحًا... ولقد قام علماء السلف الصالح بجهود عظيمة لبيان هذا العلم، وتفصيل أحكامه؛ تمامًا كما قاموا ببيان كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ووضع التفاسير والشروح لها من باب أن هذا العلم هو الحارس وصمَّام الأمان لكل علوم القرآن والسنة... وأول من صنف في هذا العلم - كما ذكر ابن خلدون وغيره - هو الإمام أبو حنيفة رحمه الله؛ في كتاب سماه «الرأي»؛ لكنه لم يدوَّن، أما أول من صنف كتابًا مدوَّنًا بعد أبي حنيفة؛ فهو الإمام الشافعي رحمه الله في بحث سماه «الرسالة»، ثم تتابعت البحوث في هذا المضمار العظيم؛ في كل عصر من عصور الإسلام المتصلة؛ فوضع الإمام ابن قدامة المقدسي كتابًا سمَّاه «روضة الناظر»، ووضع الإمام ابن القيم الدمشقي كتابًا سماه «إعلام الموقعين»، والإمام الشوكاني كتابًا سماه «إرشاد الفحول»، والإمام الرازي كتابًا سماه «المحصول في علم الأصول»، والإمام الشاطبي كتابًا سماه «الموافقات»، والإمام الآمدي كتابًا سماه «الإحكام في أصول الأحكام»، والإمام ابن حزم الظاهري كتابًا سماه «الإحكام في أصول الأحكام»... وغيرهم العشرات من العلماء الذين صنَّفوا وألَّفوا في هذا العلم العظيم...

والحقيقة، إن ما دعانا للكتابة في هذا الموضوع المهم هو الغيرة والحرص على نقاء وصفاء هذا العلم العظيم (أصول الفقه) حتى لا يداخله التحريف والتخريف والابتعاد عن أصله وجذره الصحيح المعتبر - وخاصة أن هناك أناسًا سمَّوا أنفسهم علماء وما هم بعلماء - أدخلوا موضوع العقل في وضع التشريع، وليس في بيانه وفهمه... وصاروا يتقوَّلون على الله ورسوله ما لم يقولاه، بل إن بعض الأحكام التي تبنَّوها من هذه الأصول الجديدة صارت تخالف كتاب الله عز وجلّ في الآيات قطعية الدلالة، قطعية الثبوت، وما صح عن رسول الله ﷺ في الأحاديث الصحيحة؛ وخاصة في موضوع الربا، أو موضوع (الضرورات الشرعية)؛ وتوسيع دائرتها لتشمل أمورًا عقلية؛ ليس لها ارتباط بموضوع الضرورة الشرعية، كما أنزلوا الحاجة منزلة الضرورة؛ من حيث ارتكاب المحرم، ووسَّعوا دائرة الحاجات حتى تعددت

وكثرت حسب الهوى والعقل واختلافه عند بني البشر...

لقد كان السبب الأول في هذا الخلط والتجاوز، الذي حصل عند هؤلاء (المشرّعين) راجعًا بالدرجة الأولى إلى عدم الدقة والتحري والانضباط في الأصول المعتبرة شرعًا، فكان لا بد من تصحيح هذا الأمر؛ حتى يتم تصحيح تلك الأحكام والتشريعات الضالة؛ لأنه بتصحيح الأساس يتم تصحيح ما بني على هذا الأساس من مغالطات وأخطاء... وقبل أن نتحدث عن هذه الأصول غير المعتبرة شرعًا، وعن ضلالاتها وانحرافاتها، لا بد من أن نذكر الأمور المعتبرة شرعًا، وبعض الضوابط الفكرية؛ كأسس لهذا البحث **ومن هذه الأمور:**

١- علوم الدين بكافة أنواعها لا تؤخذ إلا من الوحي، ولا تؤخذ من أي مصدر آخر، فالمصدر الوحيد لعلوم الدين، عقيدة وأحكامًا، هو الوحي بشقيه (القرآن والسنة) وغير ذلك لا يعتبر من المصادر مطلقًا، فلا يؤخذ الدين من العقل ولا من الواقع، ولا من العادات والتقاليد، ولا الشرائع الأخرى؛ غربيةً كانت أو شرقية، فالمصدر الوحيد لهذا الدين هو الوحي (القرآن والسنة). قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾، وقال سبحانه: ﴿..وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾، وقال ﷺ: **«إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»** روه الحاكم في المستدرك... فعلوم الدين تجري - بموجب أحكامها وبيانها - عبادة الله عز وجل، ولا يعبد الله إلا كما أمر، وأمره (وحيٌ من السماء)، وليس من عقول البشر الضعيفة الناقصة... فلا يعبد الله بالعقل ولا بالهوى... فالدين لا يؤخذ إلا من الله العليم الحكيم؛ لأن الله عز وجل هو فقط الذي يؤخذ عنه هذا الأمر بنص القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ...

٢- إن ما سوى الوحي - من الله عز وجلّ - هو عقل البشر؛ لأن الموجود من أفكار بين يدي الخلق؛ إما أنه من الله عن طريق الرسل والوحي، وإما أنه من عقول البشر، ولا يوجد مصدر ثالث في هذا الأمر... وعقول البشر لا تصلح لأمور التشريع؛ والسبب هو أنها ناقصة وعاجزة ومحتاجة لغيرها؛ وعجزها ظاهر في أمور كثيرة منها: كثرة اختلافها بين الناس في الرأي، وكثرة التغيير والتبديل للآراء الناتجة عن العقول؛ حتى عند الشخص الواحد، وفي الموضوع الواحد؛ فما يضعه فلان من الناس - كقاعدة أصولية - يغيِّرها بعد فترة من الزمن؛ لأنه يرى خطأها، وما يضعه فلان من حكم - غير مستند إلى الوحي - فإنك تراه يغيِّره بعد فترة؛ لأنه يرى خطأه... فهل نجعل ديننا وشريعتنا تبعًا لأهواء البشر، وعقولهم المتناقضة المتغيِّرة؟!

فإذا نظرنا - على سبيل المثال - إلى الضنك والشقاء والاعوجاج؛ بسبب المبادئ الموجودة

على وجه الأرض هذه الأيام (كالرأسمالية، والاشتراكية سابقًا)؛ فإننا نجد أن هذه المبادئ هي من صناعة العقل البشري، فهو الذي وضعها، ووضع أصولها التي بُنيت عليها من منطلق فكرة الحريات... وأطلق كامل الحرية للعقل البشري؛ ليضع الأحكام والنظم المتعلقة بالإنسان... فكانت النتيجة أن هذه المبادئ - بنظمها وتشريعاتها - فوق اعوجاجها لم تستقرَّ على حال؛ بل اعتراها التغيير أكثر من مرة... ثم خرجت عن أصولها وقواعدها التي استندت إليها، فغيَّرها أصحابها أكثر من مرة؛ كلما واجهتهم مشكلة أو أزمة، وغيَّروا بعض أصولها الفكرية التي استندت إليها وخاصة في أسس الحريات الاقتصادية!

ولقد نهى الحق تبارك وتعالى عن اتباع العقل أو الهوى؛ سواء أكان ذلك في أصول الدين أم في فروعه، واعتبر ذلك من الضلال والتحريف، قال تعالى: ﴿...وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾، وقال سبحانه: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾.

وقد ذكر الحق تعالى أن سبب الشقاء والضلال هو اتِّباع الهوى (العقل)، وأن سبب الاستقامة والهداية هو باتِّباع منهج الله سبحانه الموحى به من عنده سبحانه... قال تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾... والإعراض هنا هو بتحكيم الهوى والعقل؛ لأن ما سوى الذكر هو العقل والهوى... يقول (الإمام الشوكاني) في تفسيره لهذه الآية: (...﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ بإرسال الرسل وإنزال الكتب، ﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ**﴾؛ أي لا يَضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى ﴾؛ أي عن ديني، وتلاوة كتابي، والعمل بما فيه، ولم يتبع هداي ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾؛ أي فإن له في هذه الدنيا معيشة ضنكًا: أي عيشًا ضيِّقًا. يقال: منزل ضنك وعيش ضنك...)

٣- إن سبب الخروج عن الوحي (القرآن والسنة) عند بعض المسلمين، سواء ما حصل منه قديمًا أم حديثًا، وسواء ما كان منه في العقيدة أم الأصول الفقهية؛ فإن سببه عائد إلى أمرين - وهما في المحصلة أمر واحد هو (اتباع العقل).

الأول: أنه وجدت بعض الفرق الإسلامية التي أحدثت وابتدعت بعقولها في الأصول؛ عقيدة وأحكامًا - فسخرت العقل في أمور خارجة عن وظيفته الصحيحة؛ وهي الوصول إلى أصول الإيمان عن طريق إعمال العقل في النظر والتدبر في المخلوقات؛ أي الوصول إلى الإيمان بالخالق جل جلاله، وما أرسل من رسل ورسالات... وكذلك فهم ما نزل على الناس من رسالات... فابتدعت هذه العقول أصولًا جديدة دون

سند من الوحي، أو بتأويل الوحي تأويلًا عقليًّا، خارجًا عن أصوله المعتبرة شرعًا؛ تمامًا كما حصل عند اليهود والنصارى في ابتداع المعتقدات الباطلة التي لا تستند إلى الوحي... **والثاني:** أنه وجد من العلماء والمفكرين المسلمين من تأثروا بعقول غيرهم، وبطريقتهم في البحث والاستدلال العقلي؛ الخالي من سند الوحي؛ وذلك مثل العلماء الذين تأثَّروا بالفلسفة الهندية أو اليونانية، ممن عاصروها أو مما سبقهم منها... فوجد بسبب هذه الفلسفة علماء وفرق إسلامية أحدثت في الدين ما ليس منه، بل خرجت عن الأصول الصحيحة المعتبرة من القرآن والسنة... ومن هذه الفرق من خالف معلومًا من الدين بالضرورة، أو خالف آيات قطعية الدلالة والثبوت في موضوع الاعتقاد؛ مثل عصمة البشر، أو القول بأن الرسول ليس خاتم الأنبياء، ومنهم من قال بعقيدة الحلول، ومنهم من قال بخلق القرآن، ومنهم من ابتدع في موضوع الصفات بالتشبيه والتجسيم نتيجة قياس الغائب على الشاهد؛ وكل ذلك بسبب تأثر هؤلاء وهؤلاء بعلوم المنطق والفلسفة من غير المسلمين!...

وكما حصل الابتداع العقلي في العقيدة كأصول، حصل أيضًا في أصول الشريعة؛ كقواعد وأدلة شرعية وطريقة استدلال، مثل الذين اعتبروا المصلحة العقلية أو الضرورة التقديرية بالعقل والهوى، أو من جعل تغيُّر الزمان والمكان علة شرعية في تغيُّر الأحكام الشرعية، تبعًا لذلك... وغير ذلك من أمور لم تستند أبدًا للوحي، أو أنها استنبطت بطريقة خاطئة من الوحي... وسنتحدث عن أمثلة من هذه الأصول وبيان خطئها في بحثنا هذا بإذن الله...

٤- الأصول بشكل عام، وأصول الأحكام الفقهية بشكل خاص؛ تحتاج إلى دليل قطعي، ولا يجوز أن تؤخذ بالظن أو بغلبة الظن؛ والدليل على ذلك:

أولًا: إن الأصول هي كليات الشريعة التي تستند الشريعة إليها كأصول. والكليات لا يجوز فيها الظن؛ لأن الظن في أصول الاعتقاد لا يجوز بنص القرآن الصريح؛ قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ وقال سبحانه: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾. يقول الإمام الشوكاني في تفسيره فتح القدير: (في هذا دليل على أن مجرد الظن، لا يقوم مقام العلم، وأن الظانَّ غير عالم... وهذا في الأمور التي يحتاج فيها إلى العلم وهي المسائل (العلمية)، لا فيما يُكتفى فيه بالظن، وهي المسائل (العملية)، وقد قدمنا تحقيق هذا... ولا بد من هذا التخصيص، فإن دلالة العموم والقياس وخبر الواحد ونحو ذلك ظنية، فالعمل بها عمل بالظن، وقد وجب علينا العمل به في مثل هذه الأمور، فكانت أدلة وجوبه العمل به فهي مخصصة لهذا العموم...).

ثانيًا: بناء الأصول على غلبة الظن يؤدي إلى الفرقة والاختلاف؛ بسبب اختلاف الفهم

لهذا الأصل؛ فما يراه عالم في الأصول لا يراه آخر... وهكذا تصبح العقيدة مختلفة، وأصول الأحكام - التي بني عليها التشريع - متناقضة... وتتفرَّق الأمة تمامًا كما حصل عند بني إسرائيل، ويصبح الاختلاف ليس في فهم المسائل الشرعية، كما جرى عند علماء السلف، وإنما في تأصيلها، فتتعدَّد مصادر التشريع، ويدخل العقل في هذا التشريع، وفي تأصيله؛ فيكون ذلك أيضًا مدعاة لتفرق الأمة في أصولها المعتبرة، ويصبح الدين متناقضًا ومختلفًا، كلٌّ يراه حسب عقله وهواه...

ثالثًا: لقد ذهب أكثر علماء السلف من الأصوليين المعتبرين إلى أن الأصول يجب أن تكون مقطوعًا بها، ولا يجوز أن تؤخذ بغلبة الظن؛ مثلها مثل الأحكام الفقهية الفرعية... ومن هؤلاء العلماء: (الإمام القرافي) حيث يقول في كتاب (تنقيح الفصول وشرحه): (..وقوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ إن ذلك مخصوص بقواعد الديانات وأصول العبادات القطعيات...). وقال الإمام (عبد القادر البغدادي) في كتابه (أصول الدين): (وأخبار الآحاد متى صحَّ إسنادها، وكانت متونها غير مستحيلة في العقل، كانت موجبة العمل بها دون العلم...)، وقال الإمام الإسنوي: (وأما السنة فالآحاد منها لا يفيد إلا الظن... وأن رواية الآحاد إن أفادت فإنما تفيد الظن، والشارع إنما أجاز الظن في المسائل العملية وهي الفروع، دون العلمية كقواعد أصول الدين)، وقال الإمام (ابن عبد البر) في (كتاب التمهيد): (... اختلف أصحابنا وغيرهم في خبر الواحد هل يوجب العلم والعمل جميعًا، أم يوجب العمل دون العلم؟ والذي عليه أكثر أهل العلم منهم أنه يوجب العمل دون العلم، وهو قول الشافعي وجمهور أهل الفقه والنظر، ولا يوجب العلم عندهم إلا ما شهد به على الله وقطع العذر بمجيئه قطعًا ولا خلاف فيه...).

هذا هو الضامن لعدم الإدخال في الدين ما ليس منه، وعدم الانحراف في موضوع الأحكام والعقيدة؛ لأن الأصول عندما تكون قطعية؛ تكون موحدة عند جميع المسلمين، دون خلاف ولا اختلاف، أما عندما تكون مختلفة، فإن الاختلاف يدخل في أصل الدين، ويحصل التفرق أيضًا في أصل الدين، وهذا قد نهى الشرع عنه، وحذَّر منه، وحذَّر من أن يحصل؛ كما حصل عند اليهود والنصارى عندما اختلفوا في أصول الاعتقاد...

ولقد حصر الوحي أصول الأحكام في أربعة أمور (قطعية الثبوت تفيد العلم)، لا يعتريها أي شك؛ وهي القرآن الكريم، وسنة المصطفى ﷺ، وإجماع الصحابة، والقياس المبني على علة شرعية صحيحة. وكلها ثبتت بدليل قطعيٍّ يفيد العلم؛ وسنتحدث عن هذه الأصول بالتفصيل في حلقات قادمة إن شاء الله. [يتبع]■

أهل الذمة: رعايا كسائر المسلمين، وليسوا أقلية

المهندس عبد اللطيف الشامي

إن طبيعة الإسلام تتناقض مع فكرة الأقليات الدينية كما يحب أن يسميها المغرضون. فالإسلام يسميهم أهل الذمة، وأهل الذمة هؤلاء يعدّهم البعض أقليات دينية، ويطالب بإعطائهم حقوقهم. وهنا أخص بالذكر المناهضين لحكم الإسلام، الرافضين لقيام دولة الخلافة؛ حيث يقوم هؤلاء بالتخويف من ضياع حقوق هذه الأقليات الدينية في ظل دولة الخلافة، ويعدون ذلك سببًا كافيًا ومقنعًا لجعل الدولة العلمانية المدنية الديمقراطية التي يتمتع فيها الجميع بحقوق المواطنة بعيدًا عن التمييز الديني، يعدونها البديل العادل لدولة الخلافة الإسلامية التي تحكم بالشرع الإسلامي وتقوم على أساس الدين.

يبدو هذا الطرح للوهلة الأولى صحيحًا ومنطقيًا عند من لم يعِ أحكام الإسلام، ولا يريد أن يكلف نفسه عناء البحث والاطلاع، بل يكتفي بالترديد الببغاوي إن أحسنا به الظن؛ ولكن بالتعمق في هذه المقولة يظهر ما فيها من تضليل وتلبيس.

وللوقوف على ذلك ينبغي أن نبين أمر هامًا وهو أن الأقلية الدينية حسب تعريفهم هي أقلية يجمعها دين غير الإسلام يميزها عن الأكثرية المسلمة، أي أن الوصف الذي يجعلهم أقلية هو وصف ديني، وبناء على هذا الوصف الديني المميز ينبغي أن تثبت لهم حقوق في المجتمع والدولة.

والسؤال الذي يجب أن يطرح في هذا المقام هو: ما هي الحقوق التي يجب أن تُوَفَّر للأقلية الدينية على نحو يذهب التمييز بينها وبين الآخرين ويجعلها كسائر الرعية المسلمة؟

والجواب على هذا السؤال يجب أن ينصبَّ على الحقوق الدينية التي اختلفت بها الأقلية الدينية عن غيرها، أي إن هذه الحقوق ينبغي أن تكون بالدرجة الأولى ذات طابع ديني؛ لأن الأقلية اكتسبت صفتها وخصوصيتها المقتضية لهذه الحقوق بسبب الدين. فمن هذه الحقوق الدينية عدم إكراههم في الدين، وعدم فتنتهم عن دينهم، وتمكينهم من العبادة وإقامة الشعائر وفق أحكام دينهم، وغير ذلك مما هو

مرتبط بأمر دينهم...

لقد جاء الإسلام بمفهوم أهل الذمة الذي يوفِّر لغير المسلمين في الدولة الإسلامية كامل حقوقهم الدينية على نحو يمكنهم من ممارسة دينهم وما تمليه عليهم معتقداتهم الدينية من غير إكراه، بل وزاد على ذلك حقوقًا تتعلق بالزواج والطلاق والمطعومات... على نحو ما هو مفصَّل في فقهنا الإسلامي، وفوق ذلك فإن لأهل الذمة في الدولة الإسلامية أن يتمثلوا في مجلس الأمة بأن يكونوا ممثلِّين فيه عن منتخبيهم ليبدوا الرأي نيابة عنهم في حال إساءة تطبيق الأحكام عليهم، أو فيما قد يحيق بهم، أو ينالهم من ظلم.

وعليه، فإن أهل الذمة لا تهضم حقوقهم الدينية ولا يظلمون في دولة الخلافة، بل ينعمون بحياة آمنة كغيرهم من المسلمين، ولا يلاحقون لأنهم أهل ذمة، وإنما الذين يلاحقون في دولة الخلافة هم أصحاب الأفكار والأيديولوجيات المستوردة من الغرب، المعادية للأمة الإسلامية ودينها... وبالتالي فإنه لا ضياع لحقوق الأقليات الدينية في دولة الخلافة.

وهنا نتوجه إلى المسلمين حتى يفهموا دينهم ولا يسيروا مع ما يلبِّس به الغرب عليهم، ومن أجل أن لا يتكلموا بلسانه، وخاصة من يسمون بالـ (المعتدلين)... كذلك نتوجه إلى غير المسلمين في بلاد المسلمين الذين يريد الغرب أن يرفضوا المشروع الإسلامي المتمثل بإقامة الخلافة التي هي المناط الشرعي لتطبيق أحكام أهل الذمة، وبالتالي يتعاونون معه في إيجاد سبب للتدخل في الدولة الإسلامية إذا قامت، بحجة حماية الأقليات... كذلك يريد الغرب من إثارة قضية الأقليات الدينية أن يتخذها وسيلة لزرع الفرقة بين المسلمين وغير المسلمين في البلاد الإسلامية، مع أن أهل الذمة من النصارى واليهود وغيرهم عاشوا بين المسلمين ومعهم قرونًا طويلة دون أن يهضم لهم حق، أو يُقصَوا من المجتمع، أو يشعروا بغربة عن المجتمع وأهله أو عن الدولة.

ألا فليعلم العالم كله، أن حكم الإسلام قادم لا محالة، بإذن الله تعالى، فهو وعد الله جلَّ في علاه وبشرى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم،كذلك فليعلم الجميع أنه لا نجاة للمسلمين ولا للبشرية كلها من ظلم الرأسمالية والعلمانية وأهلها إلا بالإسلام، وحينها سيعلم أهل الذمة أن الخير كل الخير في العيش تحت ظل دولة الخلافة، وسيندمون على كل لحظة عاشوها ضنكًا في الدولة العلمانية، وقبلوا أن يُخَوَّفوا من الإسلام وحكم الإسلام، وأن تُستغَلَّ قضيتهم من قبل الليبراليين واليساريين والمستعمرين لتكون حجر عثرة في وجه عودة دولة الخلافة. فطمئنوهم وبشروهم بالخير القادم قريبًا بإذن الله قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣﴾.■

في ذكرى مولد الرسول ﷺ، على المسلمين أن يتعلموا كيف يقيمون الإسلام كله في حياتهم

أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين أن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه، وأن يتقيدوا بأمر ربهم، تمامًا على ما أنزل على رسوله الكريم، وكان الصحابة رضوان الله عليهم هم الأصدق في الالتزام ونقل الدين عن وعي وتدبر وحسن التزام. ولحرصهم وحرص من جاء بعدهم من التابعين وتابعيهم؛ ثُبِّتت نصوص الدين، ومُيِّز بين الخبيث والطيب، وعُرف الغثُّ من السمين. فلم يعد بعد ذلك من مجال لمتحذلق أن يتكلم بكلمة من خارجه. وحدث بعد ذلك أن المسلمين أرادوا أن يحدثوا في الدين، وبعضهم عن محبة له، وبعضهم عن كيد. وفي الحالين، فإن الإحداث مرفوض مردود. ومن هذا القبيل، فهناك من أراد منهم أن يكرم النبي ﷺ بجعل عيد لمولده في كل سنة. وهذا لا يصح في الشرع؛ لأن الدين كامل، ولم يأت فيه ما يدل على الوقوف على هذه المناسبة سنويًا كما طلب بالنسبة لعيدي الفطر والأضحى. ولو كان الأمر كذلك لكان جاء النص به، وهذا ما لم يفعله الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان في القرون الثلاثة المشهود لها بالخيرية. ولو عرض الأمر عليهم لمنعوه وعدُّوه إحداثًا في الدين مردودًا.

هذه المناسبة يمكن أن يقال عنها بأنها ذكرى تندرج تحت قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ۝٥﴾. ولكن هذه الذكرى يجب أن لا تحدد بيوم معين، ولا بشعائر معينة، بل إن واقعها يتطلب أن تكون حاضرة عند كل مسلم في كل يوم، وفي كل لحظة من حياته؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الأسوة والقدوة له، والمأمور باتباعه في كل صغيرة وكبيرة، فما معنى أن يقف عندها مرة واحدة في السنة، وهو المأمور بأن يعيش معها بشكل ملازم.

ومما تحمله هذه الذكرى من دلالات، أن الله سبحانه وتعالى عندما جعل الرسول الكريم خاتم الأنبياء، والإسلام خاتم الرسالات، فهذا معناه:

- أن رسالة الإسلام هي الرسالة الخاتم التي ستبقى ويجب أن تسود العالم إلى قيام الساعة، وفيها الهداية، وفي غيرها الضلال. وبها

يخاض الصراع الفكري والحضاري إلى قيام الساعة. ولا يقال بأن الحياة تتطور وتتغير والناس تبعًا لذلك يجب أن يغيروا قوانين حياتهم تبعًا لهذا التطور، لا يقال ذلك؛ لأن النظام الموحى به من الله سبحانه وتعالى يحيط بالإنسان كإنسان من جميع جوانبه، والإنسان هو الإنسان كماهية، وحقيقته لم تتغير، فالرجل هو الرجل منذ القدم، والمرأة هي المرأة، لم يتغيرا حتى تتغير العلاقة بينهما، وتكوُّن المجتمعات هو نفسه، وطبيعة الصراع أو التعاون بينها هي نفسها؛ لذلك نرى أن جميع الناس، وخاصة أولئك الذين يقولون بالتطور، يتعلمون من سابقيهم، كل في مجاله. فالديمقراطية فكرة قديمة موجودة منذ ما قبل الإسلام، والخطط العسكرية كثيرًا ما نرى أن القادة العسكريين المعاصرين يتعلمون من الأقدمين، حتى ويعلمونها في كلياتهم العسكرية. وقل مثل ذلك في الطب والفلك... ويمكن القول إن الذي يرى أنه لا بد من مواكبة التطور بتغيير قوانين الحياة هم مفلسون في الحقيقة؛ إذ لم تستطع قرائحهم أن تصل إلى النظام الصحيح، فقالوا سنغيِّر القوانين التي نخضع لها، ولم يقولوا إن سبب التغيير هو فشلهم، ولكن قالوا إنه من باب التطور، إذًا فإن لهجة القائلين بفكرة التطور هي لهجة المفلسين. ولهجة القائلين بثبات النظام الإنساني الذي ينظم علاقات البشر ببعضهم هي لهجة الصادقين الصادحين بالحق. **ومن عجيب الأمر أن هناك الكثير من المسلمين من يحيي ذكرى المولد، وهو غافل عن هذه الحقيقة، وتراه يسير مع الغرب في مقولته. فعلامَ يحتفل؟!**

- وبما أن الإسلام دين منه الدولة، وعقيدة ينبثق عنها شريعة؛ فيجب أن تسود هذه الرسالة كمبدأ تحمله دولة، وأن تنتشر وتتوسع وتحكم؛ حتى يصل الإسلام إلى كل مكان فيه نفس حية، وحتى يكون الناس شهداء بالإسلام على من سواهم في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾. نعم، إن مهمة هداية الناس تقع على عاتق المسلمين حصرًا؛ لأن الحق محصور بالإسلام، فهم المؤتمنون على هذه المهمة ألا وهي تعبيد الناس، كل الناس، لرب العالمين، وهذا يقتضي أن تخوض الدولة الصراع الفكري والحضاري والعقدي عالميًا لتنقل الناس من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهداية، ولا تتركهم لأتباع إبليس من الكفار الرأسماليين والعلمانيين والملحدين. ويجب أن تكون دولته هي الدولة الأولى في العالم باستمرار، وأن يكون هدفها فتح كل أرض لم تصله بعد. **ومن عجيب الأمر في هذا الموضوع أن كثيرًا من المسلمين غافلون عن أنه يجب أن يكون للإسلام دولة تحكم بما أنزل الله في كل حين كما كان زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، وتراهم يحتفلون بهذه الذكرى، وهم أبعد ما يكونون عن مضامينها الشرعية الصحيحة. قال تعالى:** ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ

مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

- يجب أن يكون الرسول هو قائد المسلمين في كل شؤون حياتهم وأسوتهم، وهو السراج المنير لهم في دروب الحياة؛ لذلك كان المولد ذكرى للماضي والحاضر والمستقبل، وليس للماضي فقط. وهذا يكون على صعيد المسلم كفرد، وعلى صعيد المسلم كجماعة، وعلى صعيد حياة المسلم في مجتمع ودولة.

فبالنسبة إلى الفرد المسلم:

أ- فإن الإسلام يحرص على أن تكون شخصية المسلم شخصية إسلامية، يقيس تصرفاته على أساسها، فيعرف الحلال ويلتزمه، والحرام فيجتنبه، ويقوم بالامتثال والطاعة عن قناعة ورضى ومحبة التقرب من لله تعالى، ومراقبة النفس وتزكيتها وتعهدها بالمراقبة، حتى إذا اكتملت عقليته ونفسيته كان مسلمًا قويًا في كل أمور حياته. **فمن الناحية العقدية،** فهو يجعل أساس كل تصرفاته إرضاء الله وحده، والقيام بطاعته وحده، وبطاعة رسوله الكريم وحده فيما جاء به. **ومن الناحية التعبدية،** يقوم بكل ما هو مطلوب منه من صلاة وزكاة وحج وصوم... ويقوم بما هو فوقها، من قيام ليل والإكثار من النوافل وصيام التطوع والحج لأكثر من مرة والعمرة والتصدق والإكثار من الدعاء والذكر... **ومن الناحية الأخلاقية،** فهو يمتثل أحسن الأخلاق وأحبها إلى الله، فهو صادق مصدوق يراقب الله في كلامه وتصرفاته، وهو الأمين الوفي اللين الجانب من غير ضعف، البعيد عن اللغو والكذب والملاحاة والرياء... **أما من ناحية معاملاته،** فهي قائمة على الالتزام بالأحكام الشرعية المتعلقة في كل شؤون حياته من بيع وشراء.. فلا يغش ولا يحتكر ولا يرابي...

ومتى التزم المسلم بكل ما هو مطلوب منه جاعلًا أساس التزامه إيمانه بالله، فإنه يكون ذلك المسلم الذي يمكن أن يقال بحق بأنه يحب الله ورسوله، وينطبق عليه قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾. **وإلا فما معنى أن يحتفل المسمون بذكرى المولد وهم عن طاعة الله ورسوله غافلون، وهذا المعنى الجامع للطاعة مفقود لديهم.**

أما بالنسبة إلى الدولة:

فقد جعل الله سبحانه الدولة الإسلامية من الأحكام الشرعية التي أناط بها تنفيذ الكثرة الكاثرة من الأحكام الشرعية. والشرع جعل للدولة الإسلامية صلاحيات تتقيد بها ومهمات تنفذها، وهذه نفهمها من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله: وهي متعلقة بأنظمة الحياة: نظام الحكم، والنظام الاقتصادي، النظام الاجتماعي، وسياسة التعليم، والسياسة الخارجية. فأي دولة إسلامية تقام، فهذا هو مجال عملها.

أ- **فنظام الحكم في الإسلام** ثابت باق

كما هو على مر الزمان والمكان (هناك خليفة ومعاونون وولايات ومجالس قضاء وشورى وجهاز إداري...) وتكون السيادة فيه للشرع فقط، والدستور قائم على العقيدة الإسلامية، والأحكام الشرعية مستنبطة فيه بطريقة اجتهاد صحيح...

ب- **والنظام الاقتصادي** قائم على الأحكام الشرعية التي تحدد طرق التملك المشروعة في الإسلام، وطرق تنميتها، وعلى منع الاحتكار، وجعل الذهب هو أساس العملة، وتحرص على توزيع المال وعدم تركُّزِه في أيدي فئة قليلة من الناس، وله نظامه الخاص في إنشاء الشركات، وفي البيع والشراء والضمان والرهن... والملكية فيه تقوم على الملكية الفردية، وملكية الدولة، والملكية العامة، ولكل ملكية أحكامها الشرعية الخاصة بها...

ج- **والنظام الاجتماعي** الذي يضبط علاقة الرجل بالمرأة ضبطًا شرعيًا خاصًا يمنعهما من ارتكاب الحرام؛ فيمنع الخلوة والاختلاط... ويجعل الحياة بينهما قائمة على أساس من الاحترام المتبادل، وعلى الطهر ونظافة النسب، وقيام كل منهما بدوره المناط به في الحياة... ويرعى كل ما تولَّد عن هذه العلاقة بينهما من طلاق وزواج وكفالة ورضاعة...

د- **النظام التعليمي**، ويحرص فيه على إنشاء أجيال إسلامية في شخصيتها، وتصل إلى أعلى سلم الاختراعات المفيدة للبشرية التي تستخدمها في خدمة الفرد المسلم وتسهيل حياته وتوفير أسباب الراحة له، وفي خدمة الدولة الإسلامية في حملها لرسالة الإسلام بقوة العلم والاختراعات...

هـ- **أما السياسة الخارجية للدولة**؛ فتكون الصورة الأبرز لها أمام الدول الأخرى أنها دولة إسلامية ذات رسالة، وتجعل أساس علاقتها بغيرها من الدول الدعوة إلى الله ونشر الإسلام...

هذه المعاني، كم هي غائبة عن حياة المسلمين، وحتى عن أذهانهم، وتراهم يحتفلون بذكرى المولد احتفالًا شعائريًا فيه بعض الطقوس، ويعبرون فيه عن عميق محبتهم للرسول صلى الله عليه وسلم، ولكنها ليست المحبة التي يحبها الله ورسوله؛ إذ إن المحبَّ لمن يحبُّ مطيع. وإن أدنى مراجعة لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم مع صحابته تجعلنا نجد أنها لا تنفك عن كونه رسولًا، قائد دولة وإمامها، وقائد جيوش... فلا يجوز أن تنفصل هذه المعاني عند المسلمين عن حياتهم إن أرادوا أن يكونوا على ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه.

هذه المعاني يجب أن تكون حاضرة عند المسلمين في كل حين، وهي في ذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم يجب أن تكون حاضرة أكثر. وإلا فإننا نغضب الله جلَّ جلاله، ونغضب رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم في الوقت الذي نسعى فيه لإرضائهما. فالموضوع متعلق أساسًا أننا يجب أن نحب الله ورسوله على ما يرضي الله ورسوله، لا على ما يرضينا بعيدًا عن الشرع. والله من وراء القصد.■

هل حقًّا (كما تكونون يولَّى عليكم)؟

أبو نزار الشامي

من المفاهيم المضلِّلة التي سعت عمائم الطاغوت إلى زرعها في عقول الناس هو أن المسؤول عن فساد الحكام هو الأمة!! فإنْ ظلمَ الحاكم وجار، صوَّبنا أصابع الاتهام إلى المظلوم وقمنا عليه نجلد ظهره!! ولا يقتصر أثر هذا المفهوم المضلِّل على مجرد إخراج الطاغوت من قفص الاتهام ووضع الأمة مكانه، بل هو يحميه من أية مساءلة مستقبلية، ويُبقي ظلمه ساريًا مستشريًا؛ إذ يطرح هذا المفهوم حلًا واحدًا لإزالة ظلم الظالمين، وهو أن نوطد علاقتنا مع الله وننتظر... فإن بقي حكامنا في غيهم أو ازداد؛ فإنها إشارة على أن عبادتنا الفردية ليست كافية، وفساد طويتنا لم تتغير بدليل بقاء هؤلاء!!... وعليه، فمقياس صلاح الأمة عند هؤلاء هو صلاح الحكّام، ودلالة ظلم الحكّام هو ظلم الرعية...

هكذا، وبمنتهى البساطة، تُكفّ كل يد تمتد إلى الحكّام بالتغيير، ويُقطع كل إصبع يشير إليهم بالاتهام، بل توجَّه كل السِّهام إلى صدر المُعتدى عليه حصرًا.

فهل حقًّا كما نكون يولَّى علينا؟

إن كان الأمر كذلك، لماذا قام الأنبياء في وجه فرعون والنمرود وأبي جهل؟!

لماذا لم يتهم عبد الله بن الزبير مسلمي الحجاز في علاقتهم مع الله عندما وقف في وجه يزيد؟

لماذا لم يقل الحسين لأهل مكة والكوفة (كما تكونون يُوَلَّى عليكم) بدل أن يقوم لمواجهة ظلم حكامهم...؟

والحقيقة هي أن هذا النص الضعيف ما كان ليشتهر هذا الاشتهار لولا الأيادي السوداء التي تعبث بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، بل وتكذب عليه جهارًا نهارًا.

فهذا الحديث قد ضعفه غير واحد من أهل العلم، منهم من المتقدمين الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله، ومن المتأخرين الشيخ الألباني رحمه الله، فقد جمع طرقه في سلسلة الأحاديث الضعيفة ٤٩٠/١، وحكم عليه بالضعف. ثم قال: «والواقع يكذبه، فإن التاريخ حدثنا عن تولي حكام أخيار بعد حكام أشرار والشعب هو هو». بل قال الشوكاني (في إسناده وضَّاع، وفيه انقطاع).

أما من ناحية المعنى فيناقض هذا الفهم صريحُ القرآن وصحيحُ السنة وثابتُ نهج سلف الأمة وخلفها، هذا بالإضافة إلى الواقع المشاهد والتاريخ الذي يقرر بأن الفساد يضرب الرأس ثم يسري إلى الأطراف فيفسدها عضوًا عضوًا، ولا يشفى الجسد بمعالجة الأطراف ما لم يعالج الرأس ابتداء.

أدلة القرآن:

يوضِّح القرآن هذا المعنى بشكل بَيِّن في قوله تعالى: ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾، وفي قوله سبحانه: ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾، وفي قوله جلَّ ثناؤه: ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾؛ ولذلك نجد تركيز القرآن على اللقطات التي تسطر وقوف الأنبياء وأتباعهم في وجه ملوك السوء تحديدًا، فتبرز مناظرة سيدنا موسى لفرعون وسحرته، ومجادلة إبراهيم للنمرود وآله، وتحدي شباب الكهف للملك دقيانوس وجنده... ولم يقل أحد هؤلاء الأخيار لقومه إننا بُلينا بالفراعنة بسبب معاصينا، والسبيل الوحيد للتخلص منهم هو أن نغلق علينا أبواب بيوتنا، ونعبد الله في خاصة أنفسنا!!... وبالطبع فإن أصحاب هذا الطرح عندما يتكلمون عن عبادة الله فهم لا يعنون إلا العبادة الفردية في البيت أو المسجد، فلا يتكلمون عن أوامر الله التي توجب محاسبة أمراء السوء، ولا عبادة تحكيم شرائعه... وكأن هذه الأمور مستثناة من العبادة المطلوبة في مواجهة ظلم الحكام.

أدلة السُّنَّة:

أما السنة، فذاخرةٌ سيرةُ النبي صلى الله عليه وسلم بمواقف العزة التي توجب الخروج على الظلم ومحاسبة أهله، قال صلى الله عليه وسلم: «**إذا رأيت أمتي تهاب، فلا تقول للظالم يا ظالم، فقد تودع منهم**» رواه الحاكم في المستدرك. كما تشير الأحاديث الصحيحة إلى أن جور الحاكم ينسحب على سائر واجبات الدين فيحلها وينقض عراها. وقال صلى الله عليه وسلم: «**لتنقضنَّ عُرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة**» أخرجه الإمام أحمد في مسنده والطبراني في المعجم الكبير وابن حبان في صحيحه.

وكان صلى الله عليه وسلم يكثر في رسائله إلى الملوك من قول: «**أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن أبيت فإنما عليك إثم الأريسيين...**

أو إثم القبط...أو إثم القوم الذين يحكمهم هذا الملك» وفي هذا بيان لا يبقي شبهة لمشتبه بأن إسلام الملك سيؤدي إلى إسلام قومه فينال الأجر مرتين (أجره وأجر قومه الذين أسلموا بإسلامه)، وبأن ضلاله سيضل قومه أيضًا فينال إثمه وإثمهم.

ولعل الواقع المـُشاهَد، والذي لا يكاد يحتاج إلى تدليل هو أن الحاكم إذا كان فاسدًا فإنه لن يقرب إلى بلاطه الفقهاء ولا الأتقياء، إنما سيتخذ من أهل الجور والهوى وعبدة المال وزراء وقرَّاء ومستشارين، أما إعلامه فبداهة لن يسلط الأضواء على الدعاة والمجاهدين ولا أهل القرآن، بل سيعلي شأن الماجنين والماجنات، الأحياء منهم والأموات...! وسيُظهر الشعب كأنه شعب راقص فاجر مهما كان فيهم صالحون مصلحون.

ولنأخذ مصر مثلًا، فقد كانت بلدًا نصرانيًا، فتحها عمرو بن العاص فصارت إحدى أبرز حواضر الإسلام، وبعد تولي العلمانيين حكمها غدت بلدًا علمانيًا بالرغم من ملايين المسلمين فيها. والحال نفسه ينطبق على تركيا، البلد الذي انتقل من النصرانية إبان القسطنطينيين، إلى أن أصبح عاصمة دولة الخلافة في حكم الخلفاء، واليوم هو رمز من رموز العلمانية بعد أن غير حكمه أتاتورك وأتباعه!!!

أدلة من عهد الراشدين:

هذا وقد فهم أعظم تلامذة الرسول صلى الله عليه وسلم منه هذا الأمر جيدًا؛ فسطروه في أجمل مواعظهم وأجلِّ دروسهم.

أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه:

من ذلك ما رواه البخاري عن قصة المرأة الأحمسية التي التقت الخليفة أبا بكر رضي الله عنه فقالت «ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية؟ قال بقاؤكم عليه ما استقامت بكم أئمتكم..) وقد شرح ابن حجر هذا الأثر عن أبي بكر فقال: قوله: «أئمتكم» أي لأن الناس على دين ملوكهم، فمن حاد من الأئمة عن الحال مال وأمال.

الفاروق عمر رضي الله عنه وأرضاه:

أما الفاروق عمر فقد أوضح هذا المعنى في عدد من النصوص، نقتطف أهمها:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «توشك القرى أن تخرب وهي عامرة، قالوا: كيف تخرب وهي عامرة ؟ قال: إذا علا فجَّارُها أبرارَها، وساد القبيلةَ منافقوها».

وقال أيضًا «إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَزَالُوا مُسْتَقِيمِينَ مَا اسْتَقَامَتْ لَهُمْ أَئِمَّتُهُمْ وَهُدَاتُهُمْ».

علي رضي الله عنه:

وقد ذكر ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية أيضًا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعدما أن أرسل إليه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه غنائم الفرس على كثرتها وعظمتها: «إن عمر لما نظر إلى ذلك قال: إن قوماً أدوا هذا لأمناء. فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إنك عففت فعفت رعيتك، ولو رتعت لرتعت».

هذا كان فهم الراشدين السابقين من سلف

الأمة المبارك الذي أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم باتباع سنته وسنتهم، وأن نعضَّ عليها بالنواجذ، فما بال أدعياء اتباع هذا النهج اليوم قد غيَّروا وبدَّلوا وحادوا عن النهج؟!! أما فهم اللاحقين فلم يختلف عن جادة السلف في شيء: يروي الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية مقطعًا يُبرز تأثر الشعب بحاكمه خيرًا إن كان من أهل الخير، أو غير ذلك إن كان غير ذلك. يروي عن حكام بني أمية فيقول: «وكانت همة الوليد في البناء، وكان الناس كذلك يلقى الرجل الرجل فيقول :ماذا بنيت؟ ماذا عمرت؟. وكانت همة أخيه سليمان في النساء، وكان الناس كذلك يلقى الرجل الرجل فيقول: كم تزوجت؟ ماذا عندك من السراري؟. وكانت همة عمر بن عبد العزيز في قراءة القرآن وفي الصلاة والعبادة، وكان الناس كذلك يلقى الرجل الرجل فيقول:كم وردك؟ كم تقرأ كل يوم ؟ماذا صليت البارحة؟...».

الشعب نفسه يتغير بتغير همم حكامه!! ومما تقدم يتبين كم للراعي من تأثير على الرعية، فالدولة تهيمن بمفاهيمها ونظمها على جميع مرافق الحياة فيصطبغ الناس بصبغتها أو يُجبرون...

وأخيرًا ينتصب الإمام ابن تيمية رحمه الله ليؤكد نفس الفهم الذي حفظه من سلف أمته فيقول في مجموع فتاويه: «ومعلوم أنه إذا استقام «ولاة الأمور» الذين يحكمون في النفوس والأموال استقام عامة الناس.

كل ما سبق يوضح جلية الأمر، ويبين أن أصل فساد الأمم هو حكامها وسادتها، وهم مصدر صلاحها إن صلحوا. وإن تحميل بعض الخطباء والدعاة والمصلحين المسؤولية على الناس بأنهم هم سبب ما بهم من شقاء وظلم وبعد عن دين الله، فيه ظلمٌ وتجنٍّ كبيرٌ على الناس لصالح هؤلاء الحكام الذين يندر أن يمسهم أحد بكلمة أو نصح وتوجيه، ولعلَّ ما صح عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه في قوله: «إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن»، يحسم الأمر هذا ولا تعارض البتة بين هذا الهدي النبوي وبين قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ فالله سبحانه يقرر واقعًا ثابتًا، وهو أن الظالمين أمة من بعض، لا يتولى الظالم إلا ظالم مثله، ولكن ما شأن المظلوم الذي يكتوي بنار هذا الظالم وأوليائه وأعوانه؟!! هل نحكم عليه أم نعينه على رفع الظلم وتغيير الطغمة التي تأكل حقه، وتعطِّل شرع ربه، كما هو توجيه الرسول صلَّى الله عليه وسلم، ودأب أعلام الأمة ورجالها؟!

ما أكثر الشبهات التي يُلقي بها الطغاة فيزرعها علماؤهم عراقيل في طريق الأمة للتغيير!!

اللهم عليك وحدك التكلان، وأنت وحدك المستعان، اللهم لا تدع عقبة في طريق أمتنا إلا ذلَّلتها، ولا شبهة في عقول قومنا إلا انتزعتها برحمتك ومَنِّك يا حنَّان يا منَّان.■

المغامسي مثل سوء من علماء السلاطين

قال المغامسي، وهو أحد أبرز الدعاة المدافعين عن قرارات الحكومة السعودية، خلال مداخلة على قناة "العربية": إن ما قام به موظفو القنصلية ومن بعثتهم الاستخبارات من أجل إعادة خاشقجي، هو مخالفة وتجاوز لصلاحياتهم، في إشارة إلى البيان السعودي الرسمي بأن قتل خاشقجي يعد تجاوزًا لصلاحيات الفريق المكون من ١٥ شخصًا. وأضاف أن ما حدث يشبه قتل الصحابي خالد بن الوليد، لمالك بن نويرة، في حروب الردة، رغم عدم إعطائه الصلاحية من قبل أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وذكر المغامسي بحادثة أخرى قتل فيها خالد بن الوليد أشخاصًا، تبين لاحقًا أنهم رغبوا بدخول الإسلام، وحينها قال الرسول عليه الصلاة والسلام "**اللهم إني أبرأ إليك ممّا صنع خالد**".

جراء ذلك، اتهم المغامسي بالإساءة إلى النبي والصحابة، بتشبيه "قتلة" بهم. وأثار تشبيهه قتلة الكاتب جمال خاشقجي، بالصحابي خالد بن الوليد انزعاجًا واسعًا. وطالبوه أن يتملق وينافق الحكام بعيدًا عن ذكر النبي عليه الصلاة والسلام والصحابة. ودعوه إلى عدم التدلس وتضليل الناس؛ لأن المجموعة التي قتلت الصحفي خاشقجي خرجت بأوامر قتل لرجل مسلم، وأعدوا له حقنة مخدرة ومنشار لتقطيعه.

الوعي: أمثال هؤلاء العلماء يصدق فيهم قول أحد علماء السلف الصالحين سليمان بن مهران (رحمه الله): "شر الأمراء أبعدهم من العلماء، وشر العلماء أقربهم من الأمراء".

إسرائيل توجّه رسالة تهديد جديدة بقصف لبنان

وجهت (إسرائيل) رسالة تهديد جديدة للبنان عبر مستشار الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون (أورليان لا شوفالييه)، حملها إليه نائب مستشار الأمن القومي (الإسرائيلي) (إيتان بن دافيد) إلى رئيس الحكومة اللبنانية المكلف سعد الحريري. وفيها أن "(إسرائيل) ستلتزم الصبر، لكن لن تسمح لبناء مصانع أسلحة لـ"حزب الله" في مناطق لبنانية مختلفة أن يستمر". ونقلت القناة (الإسرائيلية) العاشرة، أن المسؤولين (الإسرائيليين) أوصلوا رسالة إلى الحكومة اللبنانية مفادها أن إسرائيل ستتحرك ضد هذه المصانع، إذا لم تقم هي بذلك. وكان الجيش

(الإسرائيلي) قد ادعى في شهر سبتمبر/أيلول الماضي، أن "عمليات سرية" له نجحت في إفشال مساعي "حزب الله" لتطوير صواريخ ذات قدرة إصابة دقيقة، وجاء ذلك بالتزامن مع إبراز رئيس وزراء دولة الاحتلال (الإسرائيلي) بنيامين نتنياهو، في الكلمة التي ألقاها أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، خرائط ورسومات تدعي أن "حزب الله" دشن معامل لإنتاج الصواريخ في منطقة مطار بيروت، ما فُسر حينها على أنه يندرج في إطار التمهيد لتأمين شرعية دولية لأي عمل عسكري (إسرائيلي) يستهدف البنى المدنية اللبنانية في حرب مقبلة تريد أن تشنها على لبنان.

ترامب: السعوديون ساعدونا كثيرًا فيما يخص إسرائيل

تعليقًا على التداعيات المحتملة بالنسبة إلى السعودية بسبب مقتل الصحفي جمال خاشقجي، صرح الرئيس الأميركي في ٢٠١٨/١٠/٢٣م: "وفي الوقت ذاته، كانوا حلفاء جيدين جدًا لنا، وساعدونا كثيرًا فيما يخص إسرائيل، وموَّلوا كثيرًا من الأشياء" ولم يوضِّح في حديثه طبيعة هذه المساعدة السعودية، كما لم يذكر أي تفاصيل أخرى بشأن الموضوع. ويُعدُّ هذا التصريح الاعتراف الرسمي الأول لترامب بدور السعودية في حماية مصالح (إسرائيل)، وَتعتبر أميركا السعودية و(إسرائيل) حليفيها الأساسيين في الشرق الأوسط، وتُعتبر إدارة ترامب هي من أشد الإدارات الأميركية تأييدًا لـ (إسرائيل)، وقد تمثَّل هذا بخطوات ملموسة عدة، على رأسها نقل السفارة الأميركية من تل أبيب إلى القدس، وحماية المصالح (الإسرائيلية) في مجلس الأمن والأمم المتحدة، ودعم قانون القومية الذي أقرته حكومة نتنياهو، وقطع المساعدات المالية عن الوكالة الأممية لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين.

الوعي: إن ما تقوم به الدولة السعودية من تقارب مع (إسرائيل) إنما يمثل فقط سياسة الأسرة السعودية الحاكمة، ولا يمثل إرادة المسلمين في السعودية في شيء، وقد آن أوان انكشاف حقيقة هذه الأسرة المشبوهة، وهذا يتطلب مراجعة حقيقية من المسلمين هناك، ومن علمائهم على الأخص، من هذه الأسرة، وليس من سلمان وابنه فقط.

السعودية مع الملك سلمان وابنه في مرحلة التمهيد لإقامة علاقات ديبلوماسية علنية بينهما

على الرغم من غياب أي علاقات علنية بين السعودية و(إسرائيل) تشير تقارير عديدة إلى تقارب ملموس بين البلدين في الفترة الماضية، لا سيما بسبب مواجهتهما مع إيران. ومن نماذج هذا التقارب:

- دعا نتنياهو مرارًا في وقت سابق إلى إقامة تحالف دولي في الشرق الأوسط ضد إيران يضم "بلدانًا معتدلة" في المنطقة، في إشارة واضحة إلى السعودية.

- أكد ولي العهد السعودي، الأمير محمد بن سلمان، أوائل أبريل الماضي، أن المملكة و(إسرائيل) تواجهان عدوًا مشتركًا يتمثل بإيران، التي تتهمها المملكة بدعم قوات الحوثيين في اليمن، بما في ذلك تنفيذ هجمات صاروخية على الأراضي السعودية، كما قال إن (الإسرائيليين) لديهم الحق في العيش على أرض خاصة بهم.

- وفي ٢٠١٨/٠٣/٢٤م، بدأت شركة "Air India" تنفيذ رحلات جوية مدنية تجارية إلى (إسرائيل) عبر الأجواء السعودية بترخيص فريد من نوعه من قبل المملكة، التي منعت قبل ذلك حركة الطيران إلى (إسرائيل) عبر مجالها الجوي، ووصف نتنياهو هذا التطور بالحدث التاريخي الذي حصل بفضل عمل طويل الأمد وراء الكواليس، وجرى ذلك بالتزامن مع إجراء القادة السعوديين اجتماعات موسعة مع منظمات يهودية دينية داخل المملكة وخارجها.

ماكرون يحذر من عودة أوروبا إلى حقبة الثلاثينات

أعرب الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون عن "ذهوله" لأوجه التشابه بين الوضع الحالي في أوروبا والوضع في حقبة الثلاثينات، داعيًا إلى "وضوح الرؤية" و"المقاومة". ففي مقابلة أجرتها معه صحيفة "ويست فرانس"، الأربعاء قال: "أشعر بالذهول لمدى التشابه بين الوقت الذي نعيشه وزمن ما بين الحربين" وأكد ماكرون أن "أوروبا منقسمة بفعل المخاوف والانغلاق القومي وتبعات الأزمة الاقتصادية. نشهد بشكل شبه منهجي تفكك كل ما انتظمت حوله حياة أوروبا ما بعد الحرب العالمية الأولى وحتى أزمة ١٩٢٩" وتابع: "يجب أن يبقى ذلك ماثلًا في أذهاننا، أن نكون واضحي الرؤية، ونعرف كيف نقاوم الأمر" من خلال "نشر الزخم الديمقراطي والجمهوري". وقال ماكرون إن أوروبا اليوم "تواجه خطرًا. خطر أن تتفكك بسبب آفة القومية، وأن تثير قوى خارجية البلبلة فيها. وأن تخسر بالتالي سيادتها. أي أن يتوقف أمنها على الخيارات الأميركية وتبدلاتها، وأن يكون للصين حضور متزايد في البنى التحتية الأساسية، وأن تميل روسيا أحيانًا إلى التدخل، وأن تتخطى المصالح المالية ومصالح الأسواق الكبرى أحيانًا مكانة الدول".

الوعي: هذا هو داء الرأسمالية يدبُّ في أهلها، فبالرغم من تغوُّل الرأسماليين على شعوب العالم ونهب خيراتها، فإنها تخاف على نفسها من نفسها (والنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله). وهذا التصريح من ماكرون مثال آخر يشهد على قرب أفول الحضارة الرأسمالية الفاسدة، وقرب انهيارها.

قال الله تعالى

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾.

جاء في كتاب التيسير في أصول التفسير لمؤلفه عطاء بن خليل أبو الرشته أمير حزب التحرير حفظه الله في تفسيره لهذه الآيات ما يلي:

يبين الله سبحانه في هذه الآيات ما يلي:

١. يضرب الله مثلًا آخر متعلقًا بالقتال في سبيل الله، ففي الآية السابقة كان عن قوم تركوا ديارهم هربًا من لقاء عدوهم حفاظًا على حياتهم، فلما وصلوا مكانًا ظنوه آمنًا نزلوا فيه، فأتاهم الموت من حيث لم يحتسبوا؛ ليكون في ذلك عبرة للمقاتل في سبيل الله؛ فلا يخشى ملاقاة العدو؛ لأن أجله بيد الله، لا يقدمه أو يؤخره قعود عن القتال أو فرار؛ فيكون اندفاع المؤمن في القتال قويًا يفوق ما عليه عدوه ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ﴾ النساء/آية١٠٤.

وفي هذه الآية يذكر الله سبحانه لرسوله ﷺ والمؤمنين قصة قوم موسى - عليه السلام - بعد وفاته حيث أمروا بالقتال فتذرعوا بأن ليس لهم ملك يقاتلون تحت لوائه، وطلبوا من نبيهم أن يرسل الله ملكًا يقاتلون معه، وكأنهم أرادوا قائدًا متمرسًا في فنون القتال عظيم الجسد. فقال لهم نبيهم فلعلكم لا تقاتلون لو أرسل لكم ملك وفرض عليكم القتال، وكأنَّ نبيهم كان يتوقع أنهم لن يلتزموا كما هو شأنهم، لكنهم أجابوا مؤكدين امتثالهم ومعللين ذلك بأن ديارهم قد احتلت وأُخرجوا منها، وأُبعدوا عن أزواجهم وأبنائهم، وهذا يجعلهم جادين في القتال في سبيل الله إن أرسل الله لهم ملكًا وكُتِبَ عليهم القتال، إلا أنهم عند فرض القتال عليهم عادوا إلى سيرتهم الأولى؛ فلم يمتثل منهم إلا القليل، وكانوا من الظالمين لعصيانهم أمر الله.

وليس في الآية ما يدلّ على أن هؤلاء القوم هم أولئك المذكورون في الآية السابقة ﴿أَلَمْ تَرَ

إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ﴾ وإن كانت القصتان في موضوع القتال وعدم التخلف عنه بأية حجة.

فالآية الأولى في أولئك الذين فروا من ملاقاة عدوهم حفاظًا على حياتهم فخسروا الدنيا بانتصار عدوهم عليهم، وفي الوقت نفسه لقوا الموت ينتظرهم في مأمنهم، وكانت تلك للاعتبار بأن الأجل إذا جاء لا يؤخره فرار مما يجعل المؤمن يندفع بقوة لملاقاة عدوه.

وهذه الآية في أولئك الذين يبحثون عن الأعذار كي لا يقاتلوا، فهم لا يفرون خوفًا من الموت ولكنهم ينتحلون الأعذار لتأخير القتال.

٢. والدليل على ذلك ما ذكره الله سبحانه في الآية التالية لما أعلمهم نبيهم أن الله سبحانه قد أرسل لهم طالوت ملكًا عادوا يقولون إنهم أحق بالملك منه، وإنَّه ليس غنيًا، ومع ذلك فقد أخبرهم نبيهم أن الله سبحانه هو الذي اصطفاه لهذه المهمة وزوده بما يؤهله لذلك: قوة في العلم والجسم ولكنهم لم يقتنعوا.

٣. بل طلبوا آيةً على صدق كونه ملكًا عليهم، فأخبرهم نبيهم أن الآية على ذلك أن يرد الله عليكم (التابوت) العظيم لديكم والذي كان قد فقد منكم فيعود لكم بكلّ ما فيه من آثار لرسولي الله موسى وهارون -عليهما السلام- وتأتي به الملائكة بإذن ربها.

وهكذا لما حُصِروا فيما يطلبون وسدت عليهم سبل البحث عن معاذير استجابوا لنبيهم وساروا مع ملكهم للقتال في سبيل الله.

﴿ أَلَمۡ تَرَ ﴾ كما ذكرناها من قبل.

﴿ ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ وجوههم وأشرافهم وهو اسم للجماعة لا واحد له من لفظه، وقد استعمل في لغة العرب للدلالة على الأشراف ووجوه القوم لأن هيبتهم تملأ الصدور عادة غير عامة الناس.

﴿ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ ﴾ أي من بعد وفاة موسى - عليه السلام -.

﴿إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ ﴾ جواب الطلب مجزوم للدلالة على تأكيدهم القتال إذا بعث لهم ملك.

﴿ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ ﴾ أي لعلكم لا تقاتلون إن كتب عليكم القتال، وفيه دلالة على أن نبيهم كان يتوقع منهم عدم الامتثال وعدم القتال.

﴿أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ﴾ أي طردنا من ديارنا ومنعنا رؤية أهلنا وأطفالنا الذين لم يتمكنوا من الخروج.

﴿ طَالُوتَ ﴾ اسم أعجمي معرب، وهو ممنوع من الصرف للعجمة.

﴿ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ ﴾ قد استنكروا أن يكون ملكًا عليهم واستدلوا على ذلك بأنه ليس من بيت الملوك وكذلك ليس غنيًا. فأجابهم الله سبحانه أبلغ جواب فهو:

أولًا: هو الذي اصطفاه الله عليكم.

ثانيًا: زاده الله بسطة في العلم لتمكينه من إحكام سياسة أموركم.

ثالثًا: زاده بسطة في الجسم، فهو مؤهل لقتال عدوكم بشدة وقيادتكم بحكمة وقوة.

وأولًا وآخرًا، فالأمر لله يضعه حيث يشاء، فهو الذي يؤتي الملك لمن يريد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾.

وهنا يلاحظ أمران:

أ. إنَّ الله سبحانه لم يذكر في مؤهلات الملك (الغنى) الذي ذكروه، فهو أمر ثانوي، والأولوية ليست له في مؤهلات الحكم، بل الكفاية فيما يوكل له من عمل حتى لو كان فقيرًا، فيقدم على غير المؤهل للعمل وإنْ كثر ماله.

ب. إنَّ الله قدم العلم على الجسم لأهميته في القيادة إلى شاطئ الفوز والنجاة.

﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ﴾.

لم ترد نصوص صحيحة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حول هذا التابوت، والذي يفهم من سياق الآية واللغة أن ﴿ٱلتَّابُوتُ﴾ صندوق كان معظمًا لديهم، يبعث وجوده السكينة في نفوسهم، فلا يخشون عدوهم عند القتال، وفي هذا الصندوق محفوظ لهم بقية من آثار موسى وهارون، عليهما السلام.

وإنَّ هذا الصندوق كان مفقودًا فجعل الله عودته إليهم دليلًا على صدق طالوت في كونه ملكًا أرسله الله عليهم.

وقد تمت آية الله فأحضرت الملائكة (التابوت) إليهم، فآمنوا وصدقوا أن طالوت ملك عليهم، وساروا معه لقتال عدوهم.

ولم تبين الآيات وكذلك لم يرد عن رسول الله ﷺ كيفية إحضار الملائكة للتابوت، ولا كيف حملوه ونقلوه، ولا من أين، لذلك نقف عند ما ورد في النص ولا نتجاوزه إلى روايات غير مسندة في مثل هذه الحالات.

﴿ٱلتَّابُوتُ﴾ الصندوق، وهو من (التوب) أي الرجوع؛ لأن الصندوق يرجع إليه ما يخرج منه، وصاحبه يرجع إليه فيما يحتاجه مما أودع فيه. ووزنه على (فعلوت) وأصله (توبوت) فقلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها.

و(تابوت) لغة قريش، وهي التي كتب بها القرآن بين يدي رسول الله ﷺ، والأنصار تلفظها (تابوه) وهي التي سأل زيد بن ثابت عثمان بن عفان - رضي الله عنهما - حول جواز كتابتها في المصحف بالهاء، فأعلمه عثمان رضي الله عنه بأن تبقى كتابتها كما هي مكتوبة في الصحف بلغة قريش. ووزنها حسب لغة الأنصار - كما قال الزمخشري - فاعول ويقول: "إن (فاعولًا) قليل الاستعمال، والأشهر لغة قريش على وزن فعلوت من التوب، وهو الرجوع".■

السعي في قضاء حوائج الناس

- عَنْ سَهْلِ بن سَعْدٍ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**عِنْدَ اللَّهِ خَزَائِنُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، مَفَاتِيحُهَا الرِّجَالُ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَهُ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ، وَمِغْلاقًا لِلشَّرِّ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَهُ مِفْتَاحًا لِلشَّرِّ، وَمِغْلاقًا لِلْخَيْرِ**» أخرجه ابن ماجة، والطبرانى.

- عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ لِلَّهِ أَقْوَامًا اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، وَيُقِرُّهَا فِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا عَنْهُمْ وَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ**» أخرجه الطبراني، وقال الألباني: حسن لغيره.

- عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ امْرَأَةً كَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ: «**يَا أُمَّ فُلاَنٍ، انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ**»، فَخَلاَ مَعَهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ، حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا. أخرجه مسلم، وأبو داود، وأحمد.

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ:كَانَتِ الصَّلاَةُ تُقَامُ، فَيُكَلِّمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الرَّجُلَ فِي حَاجَةٍ تَكُونُ لَهُ، فَيَقُومُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ، فَمَا يَزَالُ قَائِمًا يُكَلِّمُهُ، فَرُبَّمَا رَأَيْتُ بَعْضَ الْقَوْمِ لَيَنْعَسُ مِنْ طُولِ قِيَامِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم لَهُ. أخرجه أحمد والتِّرْمِذِي.

- عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يُسْلِمُهُ. مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي حَاجَتِهِ. وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». متفق عليه.

- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى الأَسْلَمِيِّ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى اللَّهِ أَوْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ فَلْيَتَوَضَّأْ وَلْيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ لْيَقُلْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ**

مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، وَالسَّلاَمَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، أَسْأَلُكَ أَلاَّ تَدَعَ لِي ذَنْبًا إِلاَّ غَفَرْتَهُ، وَلاَ هَمًّا إِلاَّ فَرَّجْتَهُ، وَلاَ حَاجَةً هي لَكَ رِضًا إِلاَّ قَضَيْتَهَا لِي. ثُمَّ يَسْأَلُ اللَّهَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مَا شَاءَ فَإِنَّهُ يُقَدَّرُ» أخرجه ابن ماجة والتِّرْمِذِيّ.

- عنْ أَبِي الْحَسَنِ، قَالَ: قَالَ عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ لِمُعَاوِيَةَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: **«مَا مِنْ إِمَامٍ يُغْلِقُ بَابَهُ دُونَ ذَوِي الْحَاجَةِ، وَالْخَلَّةِ، وَالْمَسْكَنَةِ إِلاَّ أَغْلَقَ اللهُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ دُونَ خَلَّتِهِ، وَحَاجَتِهِ، وَمَسْكَنَتِهِ»**. فَجَعَلَ مُعَاوِيَةُ رَجُلًا عَلَى حَوَائِجِ النَّاسِ. أخرجه أحمد التِّرمِذي.

- عَنْ أَبِي سَلاَّمٍ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: عَلَى كُلِّ نَفْسٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ صَدَقَةٌ مِنْهُ عَلَى نَفْسِهِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مِنْ أَيْنَ أَتَصَدَّقُ، وَلَيْسَ لَنَا أَمْوَالٌ؟ قَالَ: **«وَإِنَّ مِنْ أَبْوَابِ الصَّدَقَةِ: التَّكْبِيرَ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، وَتَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَعْزِلُ الشَّوْكَةَ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، وَالْعَظْمَ، وَالْحَجَرَ، وَتَهْدِي الأَعْمَى، وَتُسْمِعُ الأَصَمَّ وَالأَبْكَمَ حَتَّى يَفْقَهَ، وَتَدُلُّ الْمُسْتَدِلَّ عَلَى حَاجَةٍ لَهُ قَدْ عَلِمْتَ مَكَانَهَا، وَتَسْعَى بِشِدَّةِ سَاقَيْكَ إِلَى اللَّهْفَانِ الْمُسْتَغِيثِ، وَتَرْفَعُ بِشِدَّةِ ذِرَاعَيْكَ مَعَ الضَّعِيفِ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الصَّدَقَةِ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ، وَلَكَ فِي جِمَاعِكَ زَوْجَتَكَ أَجْرٌ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: كَيْفَ يَكُونُ لِي أَجْرٌ فِي شَهْوَتِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ وَلَدٌ فَأَدْرَكَ، وَرَجَوْتَ خَيْرَهُ فَمَاتَ، أَكُنْتَ تَحْتَسِبُ بِهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَنْتَ خَلَقْتَهُ؟ قَالَ: بَلِ اللَّهُ خَلَقَهُ، قَالَ: فَأَنْتَ هَدَيْتَهُ؟ قَالَ: بَلِ اللَّهُ هَدَاهُ، قَالَ: فَأَنْتَ تَرْزُقُهُ؟ قَالَ: بَلِ اللَّهُ كَانَ يَرْزُقُهُ، قَالَ: كَذَلِكَ فَضَعْهُ فِي حَلاَلِهِ، وَجَنِّبْهُ حَرَامَهُ، فَإِنْ شَاءَ اللَّهُ أَحْيَاهُ، وَإِنْ شَاءَ أَمَاتَهُ، وَلَكَ أَجْرٌ»**. أخرجه أحمد والنسائي في الكبرى.

- عن ابن عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«أحبُّ الناسِ إلى الله أنفعُهم للناس، وأحبُّ الأعمالِ إلى الله سُرُورٌ تُدْخِلُه على مسلم، أو تَكْشِفُ عنه كُرْبَةً، أو تَقْضِي عنه دَيْنًا، أو تَطْرُدُ عنه جُوعًا. ولأَنْ أمشيَ مع أخي المسلمِ في حاجةٍ أحبُّ إلَيَّ من أن أعتكفَ في هذا المسجدِ شهرًا، ومن كفَّ غضبَه سترَ اللهُ عورتَه، ومن كَظَمَ غَيْظَه ولو شاء أن يُمْضِيَه أَمْضاه ملأ اللهُ قلبَه رِضًا يومَ القيامةِ، ومن مشى مع أخيه المسلمِ في حاجةٍ حتى تتهيأَ له أثبتَ اللهُ قدمَه يومَ تَزِلُّ الأقدامُ. وإنَّ سُوءَ الخُلُق لَيُفْسِد العملَ كما يُفْسِدُ الخلُّ العسلَ»** أخرجه الطبراني، وقال الألباني: حسن.■

مجزأة بن ثور السدوسي الفارس الباسل

هو سيد بني بكر وأميرهم المطاع.

مواصلة الفتوحات

بعد أن نفض جند الله عنهم غبار معركة القادسية فرحين بما آتاهم الله من نصر، تشوَّقوا إلى معركة أخرى تكون أختًا للقادسية في روعتها وجلالها، وها هو ذا رسول الفاروق رضي الله عنه يقدم من المدينة إلى الكوفة، ومعه أمر من الخليفة رضي الله عنه لواليها أبي موسى الأشعري رضي الله عنه بالمضي بعسكره والالتقاء مع جند المسلمين القادمين من البصرة، والإنطلاق معًا إلى الأهواز لتتبع الهرمزان والقضاء عليه وتحرير مدينة "تستر" درة التاج الكسروي، ولؤلؤة بلاد فارس، وقد جاء في الأمر الذي وجهه الخليفة لأبي موسى رضي الله عنهما أن يصطحب معه الفارس الباسل مجزأة بن ثور السدوسي رضي الله عنه سيد بني بكر وأميرهم المطاع، صدع أبو موسى الأشعري رضي الله عنه بأمر خليفة المسلمين رضي الله عنه، فعبأ جيشه، وجعل على ميسرته مجزأة بن ثور السدوسي رضي الله عنه، وانضم إلى جيوش المسلمين القادمة من البصرة، ومضوا معا غزاةً في سبيل الله، فما زالوا يحررون المدن، ويطهرون المعاقل، والهرمزان يفرُّ من أمامهم من مكان إلى آخر حتى بلغ مدينة «تستر»، واحتمى بحماها، وكانت «تستر» التي انحاز إليها «الهرمزان» من أجمل مدن الفرس جمالًا، وأبهاها طبيعة، وأقواها تحصينًا، مبنية على مرتفع من الأرض على شكل فرس، يسقيها نهر كبير يدعى بنهر «دجيل»، وحول «تستر» سور كبير عال يحيط بها إحاطة السوار بالمعصم، ثم حفر»الهرمزان» حول السور خندقًا عظيمًا يتعذر اجتيازه، وحشد وراءه خيرة جنود فارس.

شجاعة مجزأة

عسكرت جيوش المسلمين حول خندق «تستر» وظلت ثمانية عشر شهرًا لا تستطيع اجتيازه، وخاضت مع جيوش الفرس خلال تلك المدة الطويلة ثمانين معركة، وكانت كل معركة من هذه المعارك تبدأ بالمبارزة بين فرسان الفريقين، ثم تتحول إلى حرب ضارية ضروس، وقد أبلى مجزأة بن ثور في هذه المبارزات بلاء أذهل العقول، وأدهش الأعداء والأصدقاء في وقت معًا، فقد تمكن من قتل مائة من شجعان العدو مبارزة، فأصبح اسمه يثير الرعب في صفوف الفرس، ويبعث النخوة والعزة في صدور المسلمين، وعند ذلك عرف الذين لم يكونوا قد عرفوه من قبل لما حرص أمير

المؤمنين رضي الله عنه على أن يكون هذا البطل الباسل في عداد الجيش الغازي.

الفرج بعد الشدة

انتقل المسلمون بعد هذا الصبر الطويل من حال سيئة إلى أخرى أشد سوءًا، فبعد أن لاذ الفرس بالمدينة، وأغلقوا عليهم أبواب حصنها، أخذوا يمطرون المسلمين من أعالي الأبراج بسهامهم الصائبة، وجعلوا يدلون من فوق الأسوار سلاسل من الحديد، في نهاية كل سلسلة كلاليب متوهجة من شدة ما حميت بالنار، إذا رام أحد جنود المسلمين تسلق السور أو الاقتراب منه أنشبوها فيه وجذبوه إليهم، فيحترق جسده، ويتساقط لحمه، ويقضى عليه... فاشتد الكرب على المسلمين، وأخذوا يسألون الله بقلوب ضارعة خاشعة أن يفرج عنهم، وينصرهم على عدوه وعدوهم، وبينما كان أبو موسى الأشعري رضي الله عنه يتأمل سور «تستر» العظيم يائسًا من اقتحامه، سقط أمامه سهم قذِف نحوه من فوق السور، فنظر فيه فإذا فيه رسالة تقول: لقد وثقت بكم معشر المسلمين، وإني أستأمنكم على نفسي ومالي وأهلي ومن تبعني، ولكم علي أن أدلكم على منفذ تنفذون منه إلى المدينة، فكتب أبو موسى رضي الله عنه أمانًا لصاحب السهم، وقذفه إليه بالسهم، فاستوثق الرجل من أمان المسلمين لما عرف عنهم من الصدق بالوعد والوفاء بالعهد، وتسلل إليهم تحت جناح الظلام، وأفضى لأبي موسى رضي الله عنه بحقيقة أمره فقال: نحن من سادات القوم، وقد قتل الهرمزان أخي الأكبر، وتعدَّى على ماله وأهله، وأضمر لي الشر في صدره حتى ما عدت آمنه على نفسي وأولادي، فآثرت عدلكم على ظلمه، ووفاءكم على غدره، وعزمت على أن أدلكم على منفذ خفي تنفذون منه إلى «تستر»، فأعطني إنسانًا يتحلى بالجرأة والعقل، ويكون ممن يتقنون السباحة حتى أرشده إلى الطريق.

السباح البطل

استدعى أبو موسى الأشعري مجزأة بن ثور السدوسي رضي الله عنهما، وأسرَّ إليه بالأمر، وقال: أعني برجل من قومك له عقل وحزم، وقدرة على السباحة، فقال مجزأة رضي الله عنه: «اجعلني ذلك الرجل أيها الأمير» فقال له أبو موسى رضي الله عنه: إذا كنت قد شئت، فعلى بركة الله، وأوصاه أن يحفظ الطريق، وأن يعرف موضع الباب، وأن يحدد مكان «الهرمزان» وأن يتثبت من شخصه، وألا يحدث أمرًا غير ذلك، مضى مجزأة بن ثور رضي الله عنه تحت جنح الظلام مع دليله الفارسي، فأدخله في نفق تحت الأرض يصل بين النهر والمدينة، فكان النفق يتسع تارة حتى يتمكن من الخوض في مائه وهو ماشٍ على قدميه، ويضيق تارة أخرى حتى يحمله على السباحة حملًا، وكان يتشعب ويتعرج مرة، ويستقيم مرة ثانية... وهكذا حتى بلغ به المنفذ الذي ينفذ منه إلى المدينة، وأراه «الهرمزان» قاتل أخيه، والمكان الذي يتحصن فيه، فلما رأى مجزأة «الهرمزان» همَّ بأن يرديَه بسهم في نحره، لكنه مالبث أن تذكر وصية أبي موسى رضي الله عنه له بألا يحدث أمرًا ، فكبح

جماح هذه الرغبة في نفسه وعاد من حيث جاء قبل بزوغ الفجر.

مجزأة والمعركة الحاسمة

أعد أبو موسى رضي الله عنه ثلاثمائة من أشجع جند المسلمين قلبًا، و أشدهم جلدًا وصبرًا ، وأقدرهم على العوم، وأمَّر عليهم مجزأة بن ثور رضي الله عنه وودعهم وأوصاهم، وجعل التكبير علامة على دعوة جند المسلمين لاقتحام المدينة، أمر مجزأة رضي الله عنه رجاله أن يتخففوا من ملابسهم ما استطاعوا حتى لا تحمل من الماء ما يثقلهم، وحذَّرهم من أن يأخذوا معهم غير سيوفهم، وأوصاهم أن يشدوها على أجسادهم تحت الثياب، ومضى بهم في آخر الثلث الأول من الليل. ظل مجزأه بن ثور رضي الله عنه وجنده البواسل نحوًا من ساعتين يصارعون عقبات هذا النفق الخطير، فيصرعونها تارة وتصرعهم تارة أخرى. ولما بلغوا المنفذ المؤدي إلى المدينة وجد مجزأة رضي الله عنه أن النفق قد ابتلع مائتين وعشرين رجلًا من رجاله، و أبقى له ثمانين، وما أن وطئت أقدام مجزأة رضي الله عنه وصحبه أرض المدينة حتى جردوا سيوفهم، وانقضوا على حماة الحصن، فأغمدوها في صدورهم، ثم وثبوا إلى الأبواب وفتحوها وهم يكبرون، فتلاقى تكبيرهم من الداخل مع تكبير إخوانهم من الخارج، وتدفق المسلمون على المدينة عند الفجر، ودارت بينهم وبين أعداء الله رحى معركة ضروس قلما شهد تاريخ الحروب مثلها هولًا ورهبة وكثرة في القتلى.

وترجل الفارس

فيما كانت المعركة قائمة على قدم وساق أبصر، مجزأة بن ثور رضي الله عنه «الهرمزان» في ساحها، فاتجه نحوه، و ساوره بالسيف، فما لبث أن ابتلعه موج المتقاتلين وأخفاه عن ناظريه، ثم إنه بدا له مرة أخرى فاندفع نحوه وحمل عليه. وتصاول مجزأة رضي الله عنه والهرمزان بسيفيهما فضرب كل منهما صاحبه ضربة قاضية، فارتد سيف مجزأة رضي الله عنه، وأصاب سيف الهرمزان، فخر البطل الباسل صريعًا على أرض المعركة، وعينه قريرة بما حقق الله على يديه، وواصل جند المسلمين القتال، حتى كتب الله لهم النصر، ووقع الهرمزان في أيديهم أسيرًا.

انطلاق البشير

انطلق المبشرون إلى المدينة المنورة يزفون إلى الفاروق رضي الله عنه بشائر الفتح، و يسوقون أمامهم الهرمزان وعلى كتفيه حلته الموشاة بخيوط الذهب ليراه الخليفة، وكان المبشرون يحملون مع ذلك تعزية حارة للخليفة بفارسه الباسل الصحابي الفارسي مجزأة بن ثور السدوسي رضي الله عنه وأرضاه. ■

نيوزويك: الشرق الأوسط سيشهد زلزالًا أضخم من الربيع العربي

نشرت مجلة «نيوزويك» الأميركية مقالًا ترجمته «عربي٢١» لرئيس المعهد المصري للدراسات، ووزير التخطيط المصري السابق، الدكتور عمرو دراج، قال فيه إن هناك تغيرات عميقة تحدث في العالم العربي... وإنه مع عدم قلع جذور الدولة العميقة القديمة، سادت الفوضى، وبرز نظام جديد، نظام مصاب بجنون العظمة، ويعتمد على القمع والأموال الطائلة، وتم استبدال مصر والعراق وسوريا بالإمارات والسعودية.

وذكر أن «الشرق الأوسط، مهد الحضارات، هو المكان الأكثر عرضة للخطر، وهو شاهد على الاستبداد الذي يتجذر في المنطقة» وأعطى مثلًا لذلك دعم ترامب للسيسي في مصر، والذي استمتع بإفلات كامل من العقاب تحت إدارة أوباما ، ولابن سلمان في السعودية، وذكر بجريمة جمال خاشقجي وبتصريحات ترامب للسعودية التي هي أقرب إلى المصادقة منها إلى التهديد... واستدرك بالقول إن «هذا التهاون مع الاستبداد لن يجلب الاستقرار الإقليمي، ولن يخدم المصالح الأميركية». كذلك أكد الكاتب أن «ترامب أضعف السلطة الأخلاقية لأميركا وحلفائها في وقت حرج لهم وللشرق الأوسط، وحكم على الملايين بالعيش في ظل قمع خانق من مستبدين يتبعون نزواتهم، ولم يبد ازدراءه إلا للديمقراطية، وبذلك شجع اعتقادا على نطاق واسع بأن الديمقراطية ليست دائمًا جيدة أخلاقيًا ولا حتى مرغوبة".

ويجد دراج أن «القضية لم تنته بعد، فإن زلزالًا أكبر بكثير مما بدأ في تونس سيحدث، ويجب حماية الديمقراطية لتدعم بصفتها قيمة أخلاقية بغض النظر عن أي اعتبارات ثقافية أو محلية". ويرى الكاتب أنه «يجب في الوقت ذاته إعادة ضبط بوصلة الدبلوماسية بخصوص الشرق الأوسط. والتركيز على الأنظمة القمعية في المنطقة أمر مهم جدًا، إن كانت هناك رغبة في الإبقاء على أي شكل من أشكال النظام العالمي أو إعادته». ويختم دراج مقاله بالقول إن «هناك تغيرات عميقة تحدث في العالم العربي، فهي لم تستقر بل في حالة تصعيد".

ويشير الكاتب إلى أن «حالة التفكك هذه في الشرق الأوسط، يصاحبها تزايد في تهور شمال كوريا، وصعود للصين، وغضب في أوروبا ضد الهجرة، ونمو بطيء في الاقتصاد، ليصبح العالم في حالة فوضى، عالم يحتاج إلى قيادة أخلاقية قوية تحافظ على القيم الأخلاقية، مثل الديمقراطية وحرية التعبير والقواعد المؤكد عليها في القانون الدولي».

الوعي: إن الكاتب يستشعر الخطر بشكل قريب داهم، ويرى أن الثورات التي قامت في المنطقة لم تُزل أسبابها، بل تكرست بصورة أبشع، وبغطاء من المجتمع الدولي، ويطلب، بحسب رأيه، استباق الزلزال بـ «حماية الديمقراطية لتدعم بصفتها قيمة أخلاقية»، وبالتركيز على تغيير سلوك الأنظمة القمعية «إن كانت هناك رغبة في الإبقاء على أي شكل من أشكال النظام العالمي أو إعادته». ولكن هذا الكاتب لم يذكر من هو أسوأ من السيسي وابن سلمان وهو بشار أسد، بل دعمه ليكرس في ذلك إفلاس الغرب حضارياً، فالمشكلة في المبدأ الرأسمالي نفسه، وليس فقط في تصرفات حكام الغرب ولا في إجرام حكام المسلمين من عملائهم بغطاء منهم. وما ذكره الكاتب في آخر مقاله من أن «العالم في حالة فوضى، عالم يحتاج إلى قيادة أخلاقية قوية تحافظ على القيم الأخلاقية» يشير بشكل واضح إلى خلو العالم مما ذكر، وحاجته إلى من يملأ الفراغ الحضاري هذا، وليس من يقدر على ذلك إلا **الإسلام، ودولة الخلافة الراشدة تحديداً**. فهل يعي المسلمون والعالم ذلك؟.■

- زار نتنياهو رئيس وزراء (إسرائيل) سلطنة عمان في ٢٠١٨/١٠/٢٨م، بصورة مفاجئة. وفي هذه الزيارة، استقبل قابوس رئيس جهاز الموساد، وزوجة نتنياهو أيضًا. وصدر قرار عن مكتب نتنياهو بالسماح بتصوير الزيارة وبنشر الصور. وذكرت وكالة أنباء بلومبيرغ الاقتصادية الأميركية في ١٠/٢٨ أن «زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو المفاجئة إلى سلطنة عمان فتحت بابًا لها لدخول منطقة الخليج التي كانت عادة منطقة مغلقة أمام الإسرائيليين؛ حيث اقتفى أثره العديد من أعضاء حكومته للقدوم إلى المنطقة. وأوضحت الوكالة الأميركية أن وزير الاتصالات أيوب كارا، سيحضر مؤتمرًا في دبي للاتحاد الدولي للاتصالات السلكية واللاسلكية في ١٠/٢٩، في حين سيشارك وزير النقل الإسرائيلي إسرائيل كاتز الأسبوع المقبل في مؤتمر دولي آخر في العاصمة العمانية مسقط، بينما لا تزال وزيرة الثقافة ميري ريغيف موجودة في دولة الإمارات منذ يوم الجمعة في ١٠/٢٦ الماضي، بصحبة فريق الجودو (الإسرائيلي) في بطولة جائزة أبوظبي الكبرى. (هذه الوزيرة مشهود لها بشدة العداء للإسلام والمسلمين، فهي وصفت من قبل الأذان بنباح الكلاب، ومع ذلك سمح لها بدخول مسجد زايد، وطالبت بإبادة العرب، وهي أدت الصلاة التلمودية في أبو ظبي).

- نقلت بلومبيرغ عن مايكل أورين نائب وزير الخارجية الإسرائيلي للدبلوماسية العامة قوله إنها «علامة على أن إسرائيل والعالم العربي يقتربان أكثر فأكثر».

- تحدثت صحيفة «يديعوت أحرونوت» عن محادثات سرية بين البحرين و(إسرائيل) تمهيدًا لإظهار العلاقة بينهما علنيًا.

- شارك وفدين رياضيين (إسرائيليين) في بطولات دولية في كل من الإمارات (بطولة الجودو) وقطر (بطولة الجمباز)، وبعد فوز لاعب (إسرائيلي) بالميدالية الذهبية في أبو ظبي، عزف النشيد الوطني «هتكفا» في دولة الإمارات العربية المتحدة؛ ما أحدث ردة فعل مرحبة لدى عموم (الإسرائيليين)، وهنَّأ رئيس الوزراء (الإسرائيلي) بنيامين نتنياهو موكي هذا عبر حسابه على «تويتر» قائلًا: »جلبت لنا فخرًا عظيمًا؛ حيث تم بفضلك عزف نشيدنا الوطني لأول مرة في أبوظبي. كلنا نفتخر بك كثيرًا».

- **الوعي: في أجواء قمع ثورات ما سمي بـ (الربيع العربي)، وتغوُّل التدخل الغربي في بلاد المسلمين، وخوف أنظمة القمع العربي على نفسها من هذا التغوُّل، تشهد المنطقة ترتيبات وتغييرات سياسية جديدة يسعى الغرب إلى فرضها على الأمة قهرًا، ومنها بالإضافة إلى تغيير شكل أنظمة الحكم، إنهاء الصراع العربي (إسرائيلي) في المنطقة. وقد بدأت الهرولة من منقطعي الأنفاس زعماء دول الخليج الذين فني عمرهم في العمالة، ويريدون أن يلقوا ربهم وهم على أسوأ حال. وهذا غيض من فيض مسلسل الارتماء في هذه الخيانة المعلنة للإسلام (وما خفي أعظم)، سواء من دول الخليج، أم من غيرهم؛ إذ كلهم في الخيانة لأمتهم ولدينهم سواء.■**